فن الموسيقى عند إخوان الصفا

د. عارف عبد فهد

المقدمة :

كثيرة هي القضايا التي لا تزال محور اختلاف في حياتنا العامة وفي الحياة الفكرية منها الاختلاف في الموقف من الموسيقى ، وتعد الموسيقى من موضوعات البحث الفلسفي ذا أهمية في دراسات الفلاسفة ولكن لم تحظي بالاهتمام والعناية المطلوبين . لذلك وقع اختيارنا على هذه القضية كموضوعة للبحث ، في محاولة لكشف الالتباسات التي تدور بين المهتمين بهذا المجال من فقهاء وعلماء وفلاسفة ومفكرين ، فهناك وجهات نظر ومواقف متعددة ومتباينة من الموسيقى ، فمنهم من يقلل من شأن الموسيقى ومنهم آخرين يؤكدون على أهميتها ، وفي هذا البحث نعمل على تقديم موقف الفلسفة كعلم والفلاسفة كأشخاص من الموسيقى ، فما كان موقفهم من الموسيقى . وللبدء قد وقع اختيارنا من بينهم على – أخوان الصفا – إحدى المدارس الفكرية في الفكر الفلسفي الإسلامي، للكشف من خلالها عن ماهية هذا العلم ؟ وأقسامه ؟ وتأثيره ومقاصده وعلاقته بالدين والأفلاك وتأثيرها في النفوس وغيرها من الموضوعات .

في البدء لا بد من الإشارة إلى أنه قد اعتبرت الموسيقى لدى المهتمين بها علم من العلوم كالهندسة والفلك والفيزياء والكيمياء والطب والرياضيات و إن الموسيقى كانت تمثل لديهم فرعا من العلوم الرياضية ، ولذا كان طبيعيا أن يتعرض أي كتاب جامع لحقول الفلسفة للموسيقى كعلم من العلوم (١) . وإخوان الصفا على أثر الفارابي جعلوا الموسيقى فرعا من العلم الرياضي ، والرياضيات هي فرع فلسفي في عرف من أتبع أرسطو (٢) .

وهذا ما نجده عند إخوان الصفا ، ففي رسائلهم في المجلد الأول يجعل إخوان الصفا القسم الرياضي أول أقسام رسائلهم (٣) . وكما أشرنا تدخل الموسيقى في العلم الرياضي وتقسم الرسائل الرياضية التعليمية لديهم أربع عشرة رسالة ، تأخذ الموسيقى موقعها من هذا القسم – الرسالة الخامسة – بحثوا في صناعتها وأصلها ومدى أثر سماع الموسيقى في النفوس من انفعالات ، أفكار ، لذّة ، لا يعبر عنها بالكلام؟ من خلال نظرية أثر الموسيقى في تهدئة النفوس وإثارة انفعالاتها ، وأبراز جماليات الموسيقى من خلال بيان امتزاج الأصوات وتنافرها وإحساس الناس بجمال النغم وتفاوتهم في القبول فما يراه البعض موافقا لطبيعته قد لا يكون كذلك بالنسبة للآخرين ، اما في حال امتزاج وتآلف الألحان وتكوينها لحنا جميلا ما تستلذه المسامع لتمام ائتلافه وجمال وقعه (٤) . و ربطها بالأجسام الطبيعية إضافة إلى قولهم بأن للموسيقى صلة بنغمات الأفلاك متأثرين بأقوال الفلاسفة اليونانيين والأسكندريين (٥) .

ومما يقتضي التنويه إن إخوان الصفا كانوا حذرين في التعامل مع البعد الديني فأعملوا جهدهم على مراعاة المعارضين لها ، بحيث يبدأون أو يستفتحون رسالتهم في الموسيقى بالتنويه عن الغرض من الرسالة بأنه ليس الغرض منها ((تعلم الغناء وصنعة الملاهي وأن كان لابد من ذكرها بل غرضنا معرفة النسب وكيفية التأليف الذين بهما وبمعرفتهما يكون الحذق في الصنائع كلها)) (٦) .

وكذلك أشارتهم في ذلك إلى إن غرضـــهم من سائر رسائلهم انما هو العمل على بيان ((لأهل كل صناعة (٧) وحدانية الباري جل ثناؤه ، من صناعتــهم ، لتكون أقرب إلى فهمهم وأبين لحجتهم وأوضح لبرهانهم)) (٨) . إضافة إلى بيانهم كيفية حدوث الموجودات بعضـــها من بعض بأذن الله عز وجل وحسن عنايته وإتقان حكمته ودقة صنعته.

ولهذا يجد المطلع على رسالتهم في الموسيقى – وسائر رسائلـــهم أيضا – انها تتضمن كثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة والشعر بخلاف الفارابي وابن سينا ، وهو ما عده الباحث أنور مغيث (٩) محاولة من إخوان الصفا للتوفيق بين الدين والفلسفة ، وكانت نقطة الانطلاق لديهم في ذلك هي التوحيد في الأصل بين الموسيقى (احد فروع العلم الرياضي) والدين .

ولقد عقد إخوان الصفا فصلا في إبانة أن الموسيقى هي (فن مـن فنون الحكماء) وأنهم ورثوها للعامة كسائر الصنائع أو الفنون كلها بعنوان : في إن أصل صناعة الموسيقى للحكماء ، ثم تعلمـها الناس منهم وبعضهم من بعض ، وصارت وراثة من الحكماء للعامة ، ومن العلماء للمتعلمين ومن الأساتذة للتلاميذ (١٠) . وفي نص آخر يقولون : ((فصناعة الموسيقى استخرجتها الحكماء بحكمتها ، وتعلمـــها الناس منهم واستعملوها كسائر الصنائع في أعمالهم و متصرفاتهم بحسب أغراضـــهم المختلفة ...)) (١١). ومن هنا جاءت تسميتنا للبحث : فن الموسيقى عند إخوان الصفا.

ويهدف البحث الى بيان موقف إخوان الصفا من فن الموسيقى وأثرها في النفوس ودورها في معالجة أنفعالات النفس ، وقد تضمن مقدمة وثمان فقرات ونتائج البحث ، تناولت في الفقرة الأولى : تعريف الموسيقى ، وعرضت الثانية لأقسام الموسيقى، وتحدثت الثالثة عن أنواع الآلات الموسيقية، وأوضحت الرابعة علاقة الموسيقى بالفلك، وأهتمت الخامسة بعلاقة الموسيقى بالدين ، وكشفت السادسة عـن أثر الموسيقى في النفوس الأنسية منها والحيوانية على حـد سواء ، وبينت السابعة جماليات الموسيقى مـن خلال بيان العوامل وراء امتزاج الأصوات وتنافرها بما يستلذ به الأرواح وتسـر به النفوس من جهة وما تفسد به النفوس ويخرجها عن الأعتدال من جهة أخرى، وأظهرت الثامنة أثر أستخدام الموسيقى لشفاء الأمراض ومعالجة أنفعالات النفس . وأخيرا لابد من القول انها خطوة في مجال البحث العلمي عسى أن تنال الرضى والقبول .

(١) تعريف الموسيقى عند إخوان الصفا :

يرى إخوان الصفا إن الموسيقى تختلف عـن كل فن حيث يميزون بين صنفين من الصنائع أو (العلوم) بين (الصنائع العلمية الروحانية) التي هي أجناس العلوم وبين (الصنائع العلمية الجسمانية) التي هنا أجناس الصنائع، ويرون إن الجامع لهما : هو ((الصناعة المركبة من الجسمانية والروحانية التي هي صناعة التأليف – الموسيقى – في معرفة النسب)) (١٢).

ويعللون ذلك بأن كل صناعة تعمل باليدين لأنها أجسام طبيعية إلا الصناعة الموسيقية كون الهيولى الموضوعة فيها إنما هي جواهر روحانية وهي نفـــوس المستمعين وتأثيراتها فيها أيضا مظاهر كلها روحانية (١٣).وهذا الطابع الأفلاطوني ذا النزعة المثالية الروحية لديهم هو الذي أعطى لموسيقاهم أبعادا طبيعية وميتافيزيقية (١٤).

فما المقصود بالموسيقى لديهم ؟

يعرف إخوان الصفا الموسيقى بأنها :- ((ألحان مؤتلفة ونغمات متزنة وهو المسمى الغناء))(١٥). وبصيغة أخرى : ((أن الغناء أنما هو الحان مؤتلفة ، واللحن هو نغمات متزنة، والنغمات المتزنة لا تحدث إلا من حركات متواترة بينها سكنات متتالية)) (١٦).

وفي موضع آخر يقولون : ((إن الموسيقى هي الغناء ، والموسيقار هو المغنى ، والموسيقات هو آلة الغناء ، والغناء هو الحان مؤلفة ، واللحن هو نغمات متواترة ، والنغمات هي أصوات متزنة ، والصوت هو قرع يحدث في الهواء من تصادم الأجسام بعضها ببعض ..)) (١٧).

وهذا يعني أن الموسيقى عندهم هي اللحن المؤتلف الموزون النغمات المتواتر الحركات . أو هي أصوات معينة بينها سكنات لها نسب رياضية .. (١٨) . هذا ولقد وضع علماء الموسيقى من العرب وغيرهم من السابقين لأخوان الصفا واللاحقين عليهم أمثال الكندي والفارابي وأبن سينا وأبن باجة وأبن رشد وأبن خلدون وآخرون قد وضعوا مؤلفات جمة عالجوا فيها علم أصول الموسيقى . وتركوا لنا مكتبة موسيقية قيمة ، ضمت مختلف الكتب والرسائل في الصوت والنغم والإيقاع والآلات الموسيقية ويعد د. زكريا إبراهيم إخوان الصفا أول جماعة فلسفية تدرس الموسيقى ، لم يسبقها سوى الفيلسوف الكندي (١٩). أما من سواهم فجلهم من المطربين ، فما تركوه ليس سوى كتب أخبار وتاريخ للموسيقيين ومما يؤسف أن جميع هذه الكتب قد ضاعت ولا نعلم أمرها اليوم غير أسمائها التي نطالعها في الكتب القديمة ولهذا يعتبر – د. زكريا – مؤلفات الكندي الموسيقية أقدم ما وصل إلينا في الموسيقى وهي تمتاز بأنها الحلقة الأولى التي تبدأ بها سلسلة التاريخ العلمي والفلسفي للموسيقى عند العرب (٢٠).

اما الكندي فيرى أن الموسيقى هي العلم الأوسط بين علم تحته وعلم فوقه ، كانت عادة الفلاسفة الأرتياض به ، أما العلم الذي تحته فهو علم الطبيعة وما ينطبع عنها ، وأما الذي فوقه فيسمى علم ما ليس من الطبيعة وترى أثره في الطبيعة – والعلم الأوسط يتسبل إلى علم ما فوقه وما تحته وينقسم إلى أربعة أقسام هي :- ((علم العدد – والموسيقى – والهندسة والتنجيم)) (٢١). كما رتبها الفيلسوف الكندي.

فيما يذهب الفارابي الى ان معنى صناعة الموسيقى هو((الألحان)) واللحن قد يقع على جماعة (٢٢)، نغم مختلفة رتبت ترتيبا محدودا (٢٣). وقد يقع أيضا على جماعة نغم ألفت تأليفا محدودا وقرنت بها الحروف (٢٤) ، التي تركب منها الألفاظ الدالة المنظومة على مجرى العادة في الدلالة بها على المعاني . وقد يقع أيضا من معان أخر .. (٢٥) . وفي نص آخر نجده يقول :- ((وصناعة الموسيقى بالجملة هي الصناعة التي تشتمل على الألحان وما بها تلتئم وما بها تصير أكمل وأجود)) (٢٦).

وفي هذا الكلام دلالة على أن صناعة الموسيقى لدى الفارابي ليس صناعة ألحان فحسب كما ورد بالتعريف الأول ، وإنما تشتمل أيضا على الأسس النظرية التي تبني عليها جودة الألحان وكمالها ،الأمر الذي

يكشف ان هذه الأسس ليست مبادئ الصوت الفيزيقية والفسيولوجية فحسب كما ذهب فارمر وإنما هي تشتمل الأسس الجمالية (٢٧).

ويعرفها أبن سينا في كتابه الشـــفاء بقولـه :- ((الموسيقى علم رياضي يبحث عن أحوال النغم من حيث تأتلف وتتنافر ، وأحوال الأزمنة المتخللة بينها ليعـــلم كيف يؤلف اللحن)) (٢٨) . وفي تسع رسائل جاء عنه ((بأنها علم يعرف منه حال النغم وكيفية تأليف اللحون ، واتخاذ الآلات العجيبة مثل الأرغل)) (٢٩) .

ويقول أبن خلدون في حديثه عن صناعة الغـــناء :- وهذه الصناعة هي ((تلحين الأشعار الموزونة بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة ، يوقع على كل صوت منها توقيعا عن قطعة فيكون نغمة . ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لأجل ذلك التناسب ، وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات))(٣٠). ويعتقد أبن خلدون أن :- ((هذه الصناعة آخر ما يحصل في العمران من الصنائع لأنها كمالية من غير وظيفة من الوظائف إلا وظيفة الفراغ والفرح . وهـــي أيضا أول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه . والله أعلم)) (٣١) .

وفيما يراه أبن خلدون حول وظيفة صناعة الموسيقى ومنفعتها فهو مثار للشك منذ القدم ، فقد كان ينظر اليها القدماء عادة على انها ملذة ليس غير ، وانهم لم يجدوا فيها الا شغلا كريما للفراغ(٣٢) .

ومن طريف ما يذكر في هذا الموضوع في أصل أو سبب تسميتها بالموسيقى أنه :- روي أن (موسى كليم الله) عليه السلام أشتغل بالمناجاة لما حصل لبني إسرائيل التيه والعطش (٤٠ سنة) فجاءه جبرائيل عليه السلام وقال يا موسى :- أن الله يقرأك السلام ويقول:- أضرب بعصاك الحجر لترى قدرتي وحكمتي ، فضرب موسى بعصاه الحجر ((فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا)) فبان مـــن كل عين صوت حسن غير الآخر ، فمنها أخذت المقامات الأثنا عشر وهي أصلها .. فقال جبرائيل عليه السلام (ياموسى أسق) فاختصرت هاتان الكلمتان وجعلتا أسما لهذا الفن ، فقالوا موسقي ... (٣٣) . ومثل ذلك في الفلسفة اليونانية حيث يرجع أصل كلمة الموسيقى ذاتها إلى اليونانية وكان ينظر إليها في الأصل بطريقة شبه أسطورية على أنها فن أوحت به مباشرة وخلقته ربة الفن (موزي) (٣٤) .

(٢) أقسام الموسيقى :

يذهب الكندي إلى القول :- ((أما تأليف اللحون فيقسم إلى قسمين أحدهما :- صنعة الأوتار وتأليف بعضها إلى بعض ، ومعرفة ما فيها من الدلالات على التشاكل والازدواج ... والثاني : الطنيني واللحون ومعرفة مخرجها من الفم ...)) (٣٥) .

وجاء عن أبن سينا في ذلك قوله ((وقد دل حد الموسيقى على أنه يشتمل على بحثين ، أحدهما :- عن أحوال النغم نفسها وهذا القسم يختص باسم التأليف . والثاني :- البحث عن أحوال الأزمنة المتخللة بينها وهذا البحث يختص باسم علم الإيقاع)) (٣٦) .

وكذلك الطوسي (٥٩٧- ٦٧٢ هجري) يقسم الموسيقى إلى صنفين وقد جاء عنه في هذا السياق قوله:- ((علم الموسيقى يتألف من علمين:- أحدهما :- العلم بالتأليف وهو نسب الأصوات الواقعة في

النغم المختلفة في الثقل والحدة لا في الجهارة والخفاتة ، وعلى وجـه تقبله الطباع . والثاني :- العـلم بالإيقاع وهو النظام الواقع بين أزمنة السكونات المتخللة بين النقرات والنغمات ومنه أوزان الشعر)) (٣٧) .

ويرى إخوان الصفا أن ((الغناء مركب مـــن الألحان، واللحن مركب مـــن النغمات، والنغمات مركبة من النقرات والإيقاعات، وأصلها كلها الحركة والسكون)) (٣٨). وعلى هذا الأساس يقسم إخوان الصفا الموسيقى إلى نوعين كما جاء عنهم في السياق وهما علم الألحان، وعلم الإيقاع.
ومن الطريف أن نذكر إن الوسيلة (٣٩) التي ينهى الله تعالى الدنيـا بها ويبدأ الآخرة يوم النفخ (أحد صنوف الإيقاع الموسيقية) في الصور كما عبر القرآن ((ونفخ في الصور فصـــعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)) (٤٠) .

(٣) أنواع الآلات الموسيقية :

من المعروف أن الموسيقى هي أقدم لغة تداولها الإنسان عبر من خلالها عن أفراحه وأحزانه ، وفي الحديث عن الآلات الموسيقية لابد من الإشارة إلى أن حنجرة الإنسان كانت أول آلة أخرجت الصوت ، أما الأيدي فكانت أول آلة أخرجت الزمن ونقرات الميزان وأنظمته ، وأن الآلة محدودة من حيث الصوت والشكل والحجم والمظهر .

ويذكر إخوان الصفا العديد من أنواع الآلات وأدوات النغـمات الموسيقية المستخدمة لدى صناعها ، موضحين أن جمالية أصوات نغماتها تختلف باختلاف أشكالها (هياكلها) وجواهرها التي هي متخذة منها ، وتلك الآلة تخضع لعدة عوامل من حيث أن :- كبر الآلة أو صغرها بمعنى ان لحجم الآلة كبـيرة كانت أم صغـيرة دور مهم في تغيـير نغمات الآلة ويعزوا إخوان الصفا ((علة عظم الصوت (ارتفـاعه) أنما هي بحسب عظم الأجسام المصوتة (أي ارتفاعها أو حجمها) وشدة صدحها وكثرة تموج الهواء في الجـــهات)) . ولذلك فأن أعظـم الأصوات صوت الرعد وقولهم أيضا بأن :- ((الحيوانات الكبيرة الرئات الطويلة الحلاقيم ، الواسعة المناخر والأشـداق تكـون جهيرة الأصوات لأنها تستنشق هواءا كثيرا وترسله بشدة)) (٤١) . وما شاكل من الأصوات الطبيعية كصوت الحجر والحديد والخشب والريح وسائر الأجسام التي لا روح فيها من الجمادات (٤٢) . وكذلك يعود أيضا إلى اختلاف طولها وقصرها وسعة أجوافها (دواخلها) وضيق ثقبها ، ورقة أوتارها وغلظها .. كل تلك العوامل مجتمعة أو فرادى لها تأثير على جمالية أصوات النغمات تبعا لطبيعـــة كل آلة موسيقية من ناحية الشكل والجوهر. ومـــن ثم يتجلى بعد شكل الآلة وجوهرها أثر وبراعة العازفين عليها ، فالآلة بعد أتمام الشكل والنوع تستجيب (ترضخ) لبراعة عزف وفن مستخدمها (٤٣) .وعلى ضوء ذلك يصنف إخوان الصفا أصوات الآلات الموسيقية .

أما أشـهر الآلات الموسيقية التي جاءوا على ذكرها :- ((الطبـــول والبوقـــات والدبادب والدفـوف والسرناي والمزامير والعيدان وما شاكلها)) (٤٤) . وفي موضع آخر يأتون على ذكر :- النايات والدوالب والنـــواعير وكذلك العود والصنوج والصفارات والشواسيل والطنابر والرباب والمعازف والأراغن والأرمونيقي وما

شاكلها من الآلات والأدوات المصوتة (٤٥) . وما شاكلها من الأصوات الآلية ، ولم يقتصر إخوان الصفا على بيان النغمات التي تصدر من تلك الآلات إنما ربطوا ظاهرة الموسيقى بالفلك .

(٤) علاقة الموسيقى بالفلك ؟ :

لقد استفاضت كتب الموسيقى العربية منذ القرن الثالث الهجري بمباحث الفلك والنجوم والطبائع والأستقصات والعناصر ، فربطت بعضها بين الموسيقى وبين الأفلاك والعوالم العلوية ربطا محكما ، متأثرين بالفلاسفة اليونان القدماء (٤٦) .

ويذهب إخوان الصفا إلى وجود علاقة بين الموسيقى والأفلاك ، ولا تجد مثله في كتب مؤلفي الموسيقى كالفارابي وأبن سينا ، يستثنى من هذا الكندي وتبعه إخوان الصفا وغيرهم فقد ربط إخوان الصفا ظاهرة الموسيقى بالنتائج الكونية والأبراج والأفلاك وقد سبقهم الكندي في القول بالانتشار الكروي للصوت (٤٧) . وللموسيقى قدسية مستمدة من قدسية الوجود . ولقد زعم إخوان الصفا إن لحركات أجرام السماء وأفلاكها نغمات متناسبات مطربات متوازيات لذيذات ، لا يسمعها إلا الحكماء ، ونسبوا إلى بعض حكماء اليونان سماع أصوات الأفلاك وهي تدور بانتظام كهرمس أو قيل هو إدريس عليه السلام وكما سمعته نفس فيثاغورس (٤٨) . ويعقدون لذلك فصل تحت عنوان :- في إن لحركات الأفلاك نغمات كنغمات العيدان (٤٩) وما جاء عنهم :- ((إن لحركات الأفلاك والكواكب نغمات والحان طيبة لذيذة مفرحة لنفوس أهلها ، وان تلك النغمات والألحان تذكر النفوس البسيطة التي هناك سرور عالم الأرواح التي فوق التي جواهرها أشرف من جواهر عالم الأفلاك وهو عالم النفوس ..)) (٥٠) .

ويستندون على صحة قولهم والبرهان عليه في ((إن نغمات الموسيقار تذكر النفوس الجزئية التي في عالم الكون والفساد سرور عالم الأفلاك كما تذكر نغمات حركات الأفلاك والكواكب النفوس التي هناك (في عالم الكون والفساد) سرور عالم الأرواح)) (٥١) . وفي ذلك يشير إخوان الصفا أيضا إلى إن الفيلسوف فيثاغورس يعد أول من تكلم بعلم الموسيقى وأخبر عن هذا السر من الحكماء ثم بعده نيقوماخوس و بطليموس وإقليدس من الحكماء . ويذكرون انه يقال :- ((إن فيثاغورس الحكيم سمع بصفاء جوهر نفسه وذكاء قلبه نغمات حركات الأفلاك والكواكب ، فاستخرج بجودة فطرته أصول الموسيقى ونغمات الألحان، وهو أول من تكلم في هذا العلم وأخبر عن هذا السر من الحكماء (٥٢).

وهو ما ذهب اليه الفيثاغوريين وأفلاطون من قبل فهم يرون إن المسافات بين الكواكب وأفلاك النجوم الثوابت تطابق رياضيا المسافات بين الأصوات الثمانية في السلم الموسيقي وما هنا كان الصوت الناتج موسيقيا (٥٣) .

وقد فند أرسطو في كتاب السماء النظرية الفيثاغورية في انسجام الأفلاك وهي النظرية التي ترتكز على افتراض إن الحركة تقترن بالصوت ضرورة، وان الصوت المنبعث عن النجوم المتحركة ينبغي أن يكون متناسبها مع حجمها وسرعتها (٥٤) . وهي فكرة رفضها الفارابي أيضا بقوله :- ((وما يعتقده فيثاغورس في الأفلاك والكواكب أنها تحدث بحركتها نغما تأليفية فذلك باطل ، وقد تخص في العلم الطبيعي إن الذي قالوه غير ممكن)) (٥٥) .

ومع الانتقادات التي وجهت لقول إخوان الصفا ومن قبلهم للمدرسة الفيثاغورية وافلاطون ، فان هناك من يرى من الباحثين والمعاصرين انه ليس المهم ان إخوان الصفا أخطأوا في تفسيرات نغمات الأفلاك أو أصابوا في ذلك وهم في العصر (الرابع الهجري – العاشر الميلادي) إنما مجرد الانتباه إلى الذبذبات الكونية يعتبر عبقرية متقدمة(٥٦) . ولا تنتهي القضية وحتى بعد بداية عصر الكشوف العلمية في أوربا في القرن السابع عشر الميلادي ظل عالم مثل يوهان كبلر (١٥٧١ – ١٦٣٠) م يربط بين الأنغام والمسافات الموسيقية وبين حركة الكواكب بطريقة مشابهة للطريقة التي أستخدمها أفلاطون في وصف نظرية انسجام الأفلاك الفيثاغورية (٥٧) .

وفيما يقرر إخوان الصفا تلك العلاقة بين الموسيقى والأفلاك ، فهل من صلة بينها وبين من وجهة نظرهم؟

(٥) العلاقة بين الموسيقى والدين :

حاول إخوان الصفا كسائر الفلاسفة في الإسلام التوفيق بين الدين والفلسفة ، ومن الخطوات التي اتخذوها في هذا السبيل كانت التوحيد في الأصل بين الموسيقى والدين ، حيث يقر إخوان الصفا بوجود العلاقة بين الموسيقى والدين في كافة الأديان السماوية ، ويوضحون طبيعة تلك العلاقة بان الموسيقى أصلها التضرع لله في الصلاة والدعاء ، كاستعمال ((أصحاب النواميس الإلهية لها في الهياكل وبيوت العبادات ، وعند القراءة في الصلوات وعند القرابين والدعاء والتضرع والبكاء ، كما كان يفعل داود النبي عليه السلام عند قراءة مزاميره ، وكما يفعل النصارى في كنائسهم ، والمسلمون في مساجدهم من طيب النغمة ولحن القراءة ، فأن كل ذلك (هدفه في نظرهم) لرقة القلوب ولخضوع النفوس ولخشوعها والانقياد لأوامر الله تعالى ونواهيه ، والتوبة إليه من الذنوب والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى باستعمال سنن النواميس كما رسمت)) (٥٨) .

وفي نص آخر نجدهم يقولون في إيضاح تلك العلاقة ((وكانوا يستعملون عند الدعاء والتسبيح والقراءة ألحانا من الموسيقى تسمى – المحزن – وهي التي ترقق القلوب إذا سمعت وتبكي العيون ، وتكسب النفوس الندامة على سالف الذنوب ، وإخلاص السرائر وإصلاح الضمائر ، فهذا كان أحد أسباب استخراج الحكماء صناعة الموسيقى واستعمالها في الهياكل وعند القرابين والدعاء والصلوات)) (٥٩) . وهو مايصدق أن نطلق عليه (الموسيقى الدينية) أو الموسيقى المقدسة على حد تعبير أفلاطون وأرسطو وما يسمى أيضا ب : موسيقى مناجاة القلوب .

وقد سبق أن ذكرنا أن من مقاصد إخوان الصفا في الاهتمام بعلم الموسيقى هو معرفة النسب وكيفية التأليف اللذين بهما وبمعرفتهما يكون الحذق (المهارة) في الصنائع كلها وهذا هو الداعي الأول لديهم ، أما الداعي الثاني فيتجلى فيما ذكرنا آنفا ، في إيصال العبد إلى وحدانية الله والانقياد لأوامره ونواهيه ورقة القلوب وخضوع النفس لله سبحانه وتعالى (٦٠) ، بل ويعد إخوان الصفا إن ألذ نغمة يجدها أهل الجنة وأطيب نغمة يسمعونها كما روي في الخبر هي :- مناجاة الباري جل ثناؤه (٦١) ، وذلك قوله تعالى :- ((تحيتهم يوم يلقونه سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين)) (٦٢) .

ويذكرون أيضا انه يقال :- ((أن موسى عليه السلام لما سمع مناجاة ربه دخله من الفرح والسرور واللذة ، مالم يتمالك نفسه حتى طرب وترنم وصغر (٦٣) . عنده بعد ذلك كل النغمات والألحان والأصوات)) (٦٤) أي ان موسى عليه السلام لما سمع صوت مناجاة ربّه ، هان وذل وحقر في عينه كل النغمات والألحان والأصوات الأخرى . وهو مايعرف بالتواجد لدى الصوفية بمعنى :- انه أظهر من نفسه الوجد أي المحبة والحزن وهو عند الصوفية المحبة الإلهية(٦٥) . وفي هذا الكلام دلالة على الصلة بين الموسيقى والدين ، مما يكشف لنا ان بعض النغمات من الأصوات الطيبة المناسبة لطباع الأنسان . وهذا يبين لنا غرض الحكماء الآلهيون من استعمالهم الألحان الموسيقية ونغم الأوتار والأشعار في الهياكل وبيوت العبادات والمساجد كما يقول إخوان الصفا :- ((لترقيق القلوب القاسية وتنبيه النفوس الساهية من نومة الغفلة ، والأرواح اللاهية

في رقدت الجهالة ، ولتشويقها إلى عالمها الروحاني ومحلها النوراني ودارها الحيوانية ، ولإخراجها من عالم الكون والفساد ولتخليصها من بحر الهيولى ونجاتها من أسر الطبيعة)) (٦٦) .

واستمرت الموسيقى في الأسلام مصاحبة للشعر ، تُعزف بما يتفق مع المناسبات كالأعياد والأعراس والحروب فكان منها غناء الركبان والهزج الذي يثير القلوب ، وكان إخوان الصفا ((يلحنون (٦٧) مع نقرات تلك الأوتار كلمات وأبياتاً موزونة ، قد ألفت في هذا المعنى وصف فيها نعيم عالم الأرواح ولذّات أهله وسرورهم ، كما يقرأ غُزاة المسلمين عند النفير آيات من القرآن الكريم أنزلت في المعنى لترقق القلوب ((أن الله أشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به)) (٦٨) . وأخوات هذه الآيات من القرآن الكريم . ولم يقتصر إخوان الصفا في استشهادهم بالآيات القرآنية ، انما استشهدوا بالشعر أيضا ، ومن ذلك انشادهم أبيات من الشعر في وصف الحور العين ونعيم الجنان بما يشوق النفوس إلى هناك أو يشجع على الأقدام . نحو قول الشاعر :-

أبت لي عفـتي وأبى بلائي وأخذي الحـمد بالثمن الربيح
أقدامي على المكروه نفسي وضربي هامـة البطل المشيح
قولي كلمـا جئأت وجاشت مكانك تحـمدي أو تستريحي
لأدفـع عن مآثر صالحات وأحمي بعد عن عرض صحيح (٦٩)

وعلى هذا الأساس يخلص إخوان الصفا من ذلك إلى الدعوة بالمبادرة للعمل لدار البقاء قبل أن يبادر بهم إلى هنالك مكرهين غير مستعدين نادمين خاسرين (٧٠) . ولما لذلك الربط من قوة التأثير في نفوس المستمعين ، نجد الفلاسفة حتى أوائل القرن التاسع عشر يؤكدون على ضرورة الربط بين الموسيقى والشعر ويجعلون للموسيقى الخالصة (موسيقى الآلات وحدها) مكانة ثانوية بالقياس إلى الموسيقى المصاحبة للغناء ، ثم بظهور شوبنهور ونيتشه في القرن التاسع عشر ليدافعا عن الموسيقى الخالصة ويؤكدا قدرتها التعبيرية الكاملة . ومع ذلك كانط – الذي يعد من كبار الفلاسفة في ميدان الفلسفة النظرية – يدافع عن أولوية الشعر ويهاجم الموسيقى الخالصة ويضع الفن الموسيقي في أدنى درجات سلم الفنون (٧١) . وهكذا دأب الفلاسفة طوال العصور باستثناء القليل منهم على الاعتقاد بأن الموسيقى بلا كلمات أقل قيمة من الموسيقى بالكلمات ، فموسيقى الآلات الخالصة تفتقر إلى التحدد(٧٢) . فما حقيقة أثر الموسيقى في النفوس .

(٦) تأثير الموسيقى في النفوس :

يطرح إخوان الصفا كغيرهم من الفلاسفة في الإسلام في نظريتهم في الموسيقى قضية تأثير الموسيقى في النفوس ، فهل فعلا للموسيقى اثر في إثارة النزاعات والعداوات والقساوة وصفاء الذهن والسكينة والألفة والمحبة والترويح عن النفس ، وبالرغم من الأختلاف حول طبيعة ذلك الأثر والتحفظ عليه أو رفضه وقبوله ،فما هو موقف إخوان الصفا ؟ لقد كان اهتمام إخوان الصفا بأثر الموسيقى في النفوس استمرارا وتوكيدا وتوسيعا لما ذكره أدباء وفلاسفة القرن الثاني والثالث للهجرة وما نقله الحكماء وعلماء الألحان والنغم والموسيقى كالكندي والفارابي ومن قبلهما أفلاطون وأرسطو .

فيختلف أثر الموسيقى في النفوس وفق الحال والزمان والمكان ، في حال السلم منها في حال الحرب ، وفي حال الراحة منها في حال الإجهاد والتعب ، وفي حال الفرح منها عن حال الحزن والآلام . فهناك موسيقى العمل (٧٣) وموسيقى الحب وموسيقى الصيد (٧٤) وموسيقى الحرب وموسيقى الحنين إلى الأوطان والدفاع عنها ، والموسيقى الدينية والموسيقى الشافية من الأمراض (٧٥) وهو ما عبر عنه إخوان الصفا بقولهم :- ((إن الحان الموسيقى أصوات ونغمات ولها في النفوس تأثيرات كتأثيرات صناعات الصناع في الهيوليات الموضوعة في صناعتهم ، فمن تلك النغمات والأصوات ما يحرك النفوس نحو الأعمال الشاقة والصنائع المتعبة وينشطها ويقوي عزماتها على الأفعال الصعبة المتعبة للأبدان التي تبذل فيها مهج النفوس وذخائر الأموال

وهي الألحان المشجعة التي تستعمل في الحروب وعند القتال في الهيجاء (٧٦) ولا سيما إذا غنى معها بأبيات موزونة في وصف الحروب ومديح الشجعان مثل قول القائل :-

لو كنت من مازنٍ لم تستبح أبلي بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا)) (٧٧)

ويتجلى استعمال الناس (للموسيقى) في كافة نشاطات الحياة تارة عند الفرح واللذة والسرور في الأعراس والولائم والدعوات وفي الأعياد بما يبعث الفرح والسرور في النفس وتارة عند الحزن والغم والمصائب وفي المأتم بما يعزي النفوس ويخفف ألم المصائب ويسلي عن الاشتياق ويسكن الحزن (٧٨) .وتارة في العبادات ، وتارة في الأسواق والمنازل ، وفي الأسفار والحضر ، وعند الراحة والتعب ، وفي مجالس الملوك ومنازل السوقة ويستعملها كافة شرائح المجتمع الرجال والنساء والصبيان والمشايخ والعلماء والجهال والصناع والتجار وجميع طبقات الناس (٧٩) . إضافة لما سبق تستعمل النساء للأطفال ألحانا تسكن البكاء وتجلب النوم (٨٠) . وتصنف تلك الألوان اللحنية ضمن ما يسمى ب – موسيقى الإنسان – . ويذهب إخوان الصفا إلى ان أثر صناعة الموسيقى لا يقتصر على الإنسان فحسب بل والحيوان على حد سواء فأن صناعة الموسيقى وألحانها تستعمل للحيوانات أيضا وهو من يسمى ب – موسيقى الحيوان – وهو ما يميزها عن موسيقى الطبيعة كما يقولون ، بأنه ((يستعملها رعاة الغنم والبقر والخيل عند ورودها الماء من الصفير ترغيبا لها في شرب الماء ، ويستعملون لها أيضا ألحانا أُخر عند هيجانها للنزو والسفاد وألحانا أخرى عند حلب ألبانها لتدِرّ ... ومثل ما يستعمله الحمالون من الحداء في الأسفار وفي ظلم الليل ، لينشط الجمال في السير ويخفف عليها ثقل الأحمال)) (٨١) .

وهذا ما قرره الكندي من قبل ، كما جاء في قوله :- ((فكان من آلاتهم ما إذا سمعه جنس من الحيوان أتى منقادا للصوت وطربا له . ونجد كل جنس من الحيوان له آلة سمعية تحركه ، كالذي نجده في الدلفين والتمساح إذا سمعت الزمر وصوت بوق أنها تطرب وتخرج من البحر وتطفو إلى المركب ، وكذلك الزنبور الذي يسمى النحل ، وكثير من عتاق النخيل والطواويس والهزاردستان والغزلان ...)) (٨٢) . ويذهب الكندي الى ان هذا الحال يصدق ايضا مع السمك إذا نقر له بتلك الضربة اجتمع إلى موضع واحد ، والراعي يجمع الغنم بالصفير فيؤخذ باليد من غير معاناة ولا امتناع منه . ونجد ذلك حسنا في الطواويس إذا سمعت الأوتار ونشرها أذنابها وجلائها أنفسها (٨٣) . وعليه فأثر الكندي واضح في كثير من مواقف إخوان الصفا وهذا منها . وبالإضافة إلى ما يحققه كل لون من الألحان من نفع ما ، نخلص إلى القول :- بأهمية الموسيقى لدى كل الخلائق كما أكد على ذلك إخوان الصفا أنفسهم :- ((فأن صناعة الموسيقى يستعملها كل أفراد الأمـــم ويستلذها جميع الحيوانات التي لها حاسة السمع – بما فيها الإنسان طبعا – وان للنغمات تأثيرات في النفوس الروحانية)) (٨٤) . ومن ثم كان لهذا التلون في الأنغام واللحون تأثيراته على نفوس المستمعين واختلاف تأثيرها من حال إلى حال ومن ضد إلى ضد على المسرور غيره على المتألم وعلى المريض غيره على السليم أو المعافى البدن فكل واحد يتأثر حسب وضعه الخاص وفهمه الأخص للنغم .

وبهذا يكون أخوان الصفا قد سبقوا كروتشه (١٨٦٦ – ١٩٥٢ م) بألف عام في التحدث في النظرية الجمالية من زاوية الموسيقى وخصوصا عندما تحدثوا عن علاقة الروح بالموسيقى ، وهذا ما قاله بعدهم كروتشه نفسه واشتهر على أساسه في علم الجمال ، إذ يرى : ((إن الفن رؤيا أو حدس فاعمل الفني صورة ذهنية يؤلفها الفنان ويعيد متذوقوا فنه تأليفها)) . أما إخوان الصفا قالوا : ((واعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن الله جل جلاله جعل بواجب حكمته لكل جنس من الموجودات حاسة مختصة بإدراكها وقوة من قوى النفس تنالها بها وتعرفها بطريقها لا تنال بطريقة أخرى ... فالموسيقار الحاذق الفاره هو الذي إذا علم بان المستمعين قد ملوا من لحن ، غنى لهم لحنا آخر إما مضادا له أو مشاكلا له)) (٨٥) . وعليه يتبين ان قول كروتشه كما يذهب الباحث عبد الغني الملاح ماهو الا ترجمة بلغة القرن العشرين لقول إخوان الصفا الذي سجلوه بلغة القرن العاشر الميلادي (٨٦).

وهذا التأثير للموسيقى في النفوس أكده أفلاطون أيضا من قبل في كتابه الجمهورية حيث يشير في ذلك إلى أننا : ((نعزو إلى تهذيب الموسيقى شأنا خارق ؟ فان الإيقاع واللحن يستقران في أعماق النفس ، ويتأصلان فيها ، فيبثان فيها ما صحباه من الجمال ، فيجعلان الإنسان حلو الشمائل إذا حسنت ثقافته وإلا كان الحال العكس ..)) (٨٧). وان الموسيقى تغير قساوة النفوس كما قال :- ((إن فيض الأنغام الشجية البديعة على النفس ، مهما يكن في الإنسان من النزق الشديد القسوة كالفولاذ فانه يلين ويصير حرا)) (٨٨). وكذلك يعتقد أفلاطون انه كما يولد التنوع الموسيقي فجورا في النفس تولد الأطعمة عقلا في الجسد ، إما البساطة في الجهاز فتولد صحة كما إنها في الموسيقى تولد العفاف (٨٩). وغاية الموسيقى في المذهب الأفلاطوني يجب أن تنتهي في محبة الجميل (٩٠).

وكذلك الحال بالنسبة لأرسطو فهو يتفق في ذلك مع استاذه أفلاطون كما جاء عن أرسطو في قوله :- ((فمتى تنوعت طبيعة الألحان تغيرت معها انفعالات المستمعين تبعا لكل واحد منها . فباللحن الشجي كلحن المذهب المسمى (ميكسوليدي) تحزن له النفس وتنقبض ، والحان أخرى ترقق القلب وتلك هي الأقل في مراتب الثقيل ، وبين هذين الطرفين لحن آخر يؤتي النفس على الخصوص سكوناً تاماً ، وذلك هو المذهب الدوري الذي هو وحده يؤثر هذا الأثر فيما يظهر . أما المذهب الفريدي فعلى الضد من ذلك ينقل النفس إلى التحمس)) (٩١)، أو الأندفاع نحو اداء الأعمال.

هذا وقد لاحظ القدماء منذ فيثاغورس في القرن السادس قبل الميلاد هذه الصلة الوثيقة بين الموسيقى والنفس البشرية ، فكانوا يتخذون منها أنواعا للعلاج – كما سوف نرى لاحقا – وأخرى للهو والطرب وثالثة للحماسة والحرب ورابعة للإيقاع والرقص وهكذا . وتكلم عنها أفلاطون في الجمهورية والقوانين وأرسطو في كتابي السياسة والشعر كما سبق . واستفاد الفلاسفة في الإسلام من هذا المأثور ومنهم الكندي (٩٢). وإخوان الصفا ، فذهبوا إلى أن لصناعة الموسيقى أثرها في النفس في بعض الجوانب والتي سوف نوجز تقسيمها كما جاءت عند إخوان الصفا على النحو الآتي :-

١ . تأثيرها في إشعال الحروب والاقتتال .

٢ . تأثيرها في تسكين النفوس وإطفاء الأحقاد .
٣ . تأثيرها في تغيير أخلاق الناس وسلوكياتهم .

وفيما يأتي بيان لطبيعة هذا التأثير :-

أولا : تأثير الموسيقى في إشعال فتن الحروب والاقتتال :-

يذهب إخوان الصفا إلى أن هنالك من الألحان والألفاظ المشجعة ما قادت إلى إشعال الحروب والاقتتال بين القبائل والأمم ، كما جرى بين قبيلتين من قبائل العرب (بني بكر وأقربائهم بني تغلب) واستمرت لعقود من الزمن إلا وهي حرب البسوس (٩٣) ، بسبب أبياتا من الشعر مغناة . والأبيات للبسوس بنت منقذ (التي نشبت الحرب بسببها) وهي كما أوردها إخوان الصفا :-

((لعمري لو أصبحت في دار مُنقذ لما ضـــيم سعدُ وهو جارُ لأبياتي
ولكني أصبحت في دار غُــربة متى يَعدُ فيها الذئب يَعدُ على شاتي
فيا سَعدُ لا تَغرُر بنفسك وارتحل فأنك في قـوم عن الجار أمــواتِ)) (٤٩)

ويشير إخوان الصفا أيضا في هذا السياق إلى إن هنالك أبيات من الشعر أثارت الأحقاد الكامنة بين أقوام ، وحركت النفوس الساكنة فيهم ، وألهبت الغضب لدى مجاميع من الناس وحثتهم على قتل أبناء عمومتهم وأقربائهم وعشيرتهم فقتلوهم بذنوب آبائهم ووزر أجدادهم (٩٥) .

وهكذا يظهر لنا إخوان الصفا مدى التأثير النفسي للموسيقي من حيث قدرتها على تحريك النفوس الساكنة وإثارة الأحقاد ، وكذلك يتكشف لنا من خلاله الأثر الأفلاطوني والأرسطي في فلسفة إخوان الصفا عامة وموقفهم من فن الموسيقى خاصة .

ثانيا : تأثيرالموسيقى في تسكين النفوس وإطفاء الأحقاد :-

ويذهب إخوان الصفا كما هو الحال مع الفلاسفة من قبلهم الى انه لا يقتصر تأثير الموسيقى على الجانب السلبي ،
وانه الى جانب التأثير السلبي للألحان والألفاظ كما سبق ، فهنالك من الألحان والنغمات أيضا ما له التأثير الايجابي في تسكين النفوس وإطفاء الأحقاد ، ويوقع الصلح ويكسب الألفة والمحبة ، ويذكر لنا إخوان الصفا شاهدا على ذلك التأثير هذه القصة :- ((إن في بعض مجالس الشراب أجتمع رجلان متغاضبان وكان بينهما ضغن قديم ، وحقد كامن ، فلما دار الشراب بينهما ثار الحقد والتهبت نيران الغضب ، وهم كل واحد منهما بقتل صاحبه ، فلما أحس الموسيقار بذلك منهما وكان ماهرا في صناعته غير نغمات الأوتار وضرب اللحن المُلين المُسكن وأسمعهما وداوم حتى سكّن سورة الغضب عنهما ، وقاما فتعانقا وتصالحا)) (٩٦) . فالموسيقى

كالطبيب يلتمس كل منهما بطريقته معالجة المرضى، احدهما في معالجة انفعالات النفس والآخر في حفظ صحة البدن .

وفي ذلك يتجلى لنا التأثير الأخلاقي للموسيقى من حيث إن لها القدرة على دعم العنصر الفاضل في الشخصية أو زيادة ميلها إلى الرذائل تبعا لنوع الألحان والإيقاعات والمقامات المستخدمة فيها ، وقد أكد على ذلك أفلاطون من قبل ، وكما يرى جوليوس مؤلف كتاب الفيلسوف وفن الموسيقى :- إن آراء الفلاسفة في الموسيقى لم تكن إلا تعقيبات متنوعة على أفكار رئيسية قال بها فيلسوف يوناني كبير هو أفلاطون في محاوراته ولاسيما الجمهورية والقوانين (٩٧) .

ومن ثم فهذا بخلاف ما يحدث في زماننا من استغلال للموسيقى في أغراض المجون وتمييع الأخلاق وتهجينها حتى أصبح تعاطي الموسيقى مما تعافه الأذواق ويستهجنه المحافظون من الناس . ولعلها فرصة لتذكير القائمين على القنوات الفضائية والإذاعية (العراقية على وجه الخصوص) وممتهني السياسة والموسيقى والشعر وأصحاب العمائم الإشفاق والرفق بأبناء الأمة وحفظ دمائهم من خلال التخفيف من شدة أنغام اللحون ومن شدة الألفاظ المهيجة للأحقاد والأضغان هذا من جهة ، ومن جهة أخرى العمل على الإكثار من النغمات وكذلك الألفاظ كل حسب مجاله ، التي تلين النفوس وتسكن من روعها وتشرح الصدور وتنور القلوب لتقود الناس إلى التعانق لا القطيعة إلى التصالح لا التشاجر ، إلى أن يكون الجميع سببا في الألفة والمحبة ولم الشمل لا سببا في التباغض والنفور والفرقة ، ليس أصحاب اللحن والموسيقى فحسب بل وأصحاب اللحن اللفظي المزوغ في مخاطبة الناس أيضا ، فوقع نغمات اللحن اللفظي لا تقل أثراً عن وقع نغمات أوتار الموسيقى في أثارة العواطف تارة وإطفاء نار الحقد تارة أخرى ، حسب النوايا والغايات للقائمين عليهما إن خيرا فخير وان شراً فشر . فأن سماع الألحان الموسيقية والأجراس اللفظية يفسد النفوس أحيانا وأحيانا أخرى يصلحها كل حسب مبتغاه .

<u>ثالثا : تأثيرالموسيقى في تغيير أخلاق الناس وسلوكياتهم :-</u>

ويعتقد إخوان الصفا أيضا ان ((من الألحان والنغمات ما ينقل النفوس من حال إلى حال ويغير أخلاقها من ضد إلى ضد)) (٩٨) . ويورد إخوان الصفا في ذلك هذه القصة دون الإشارة إلى صاحبها الحقيقي ، حيث يقولون :- ((يحكى أن جماعة كانت من أهل هذه الصناعة – الموسيقى – مجتمعه في دعوة رجل رئيس كبير ، فرتبت مراتبهم في مجلسه بحسب حذقهم في صناعتهم ، إذ دخل عليهم إنسان رث الحال ، عليه ثياب رثة فرفعه صاحب المجلس عليهم كلهم ، وتبين إنكار ذلك في وجوههم ، فأراد أن يبين فضله ويسكن عنهم غضبهم ، فسأله أن يسمعهم شيئا من صناعته (الموسيقى) فأخرج الرجل خشبات كانت معه فرتبها ومد عليه أوتار وحركات تحريكا (أي عزف) فأضحك كل من كان في المجلس من اللذة والفرح والسرور الذي حل داخل نفوسهم ، ثم قلبها وحركها تحريكا آخر أبكاهم من رقة النغمة وحزن القلوب ، ثم قلبها وحركها تحريكا نوّمهم كلهم ، وقام وخرج ، فلم يعرف له خبر)) (٩٩)

ولابد من الأشارة هنا : إن هذه القصة تروى عن الفيلسوف الفارابي كما جاء في وفيات الأعيان (١٠٠) وغيره، ولكن يتجاهل إخوان الصفا نسبة ذلك إلى الفارابي كما هو حالهم في عدم الإفصاح عن أصول فلسفتهم . علما بان الفارابي كان زاهدا وعاش في زمن سيف الدولة الحمداني في دمشق وحلب .
وفيما سبق ظهر لنا بوضوح التأثير الأخلاقي والنفسي والعقلي للموسيقى في نفوس المستمعين لدى الفلاسفة عامة و إخوان الصفا خاصة ، ولا يقتصر إخوان الصفا على بيان أثر الموسيقى في النفوس وانما يذهبون الى القول باختلاف طبيعة تلك الألحان حسب طبيعة كل أمة من الأمم ، فما تستلذه أمة من الحان ونغمات قد لا تستلذه أمة أخرى ليس الأنسية فحسب وانما الحيوانية أيضا

فيعتقد إخوان الصفا أن لكل أمة من الأمم لونها في صناعة الموسيقى وألحانها وأنغامها وان لكل صنعة من الصنائع التي يمارسها الناس لحن موسيقي خاص يستخدمه أصحابها بل ولكل حيوان لون خاص أو نغمة خاصة يستعملها مربيها فللحيوانات موسيقاها التي تتأثر أو تروض بها بما يؤثر عليها أو يثيرها أو يحفزها سواء للعمل أو للاسترخاء (١٠١) . وان كل من هذه الأمزجة تتأثر بطبيعة الأصوات وان لكل مزاج وكل طبيعة نغمة تشاكلها ولحن يلائمها ، بل إذا تأملت تجد أن لكل أمة من الناس ألحانا ونغمات يستلذون ويعبرون عن فرحهم بها لا يستلذها غيرهم ولا يفرح بها سواهم مثل غناء الديلم والأتراك والأعراب والأرمن والزنج والفرس والروم وغيرهم من الأمم المختلفة الألسن والطباع والأخلاق والعادات . فان لكل أمة من الناس ألحاناً من الغناء وأصواتاً ونغمات يشبه بعضها بعضا . ولا تقف طبيعة اختلاف الألحان حسب طبائع الأمم فحسب ، فبالرغم من ان لكل أمة ألحانا وأصواتا ونغمات يشبه بعضها بعضا الا أنك تجد في الأمة الواحدة أقواما يستلذون ألحاناً ونغمات وتفرح نفوسهم بها لا يسر بها سواهم من أبناء جلدتهم ، ومن ثم فان الإنسان نفسه كفرد يسر ويستلذ لحناً في وقت ما ، في وقت آخر لا يستلذه ولا يسر به بل ربما يكرهه ويتألم منه وفقاً لحاله والزمان والمكان (١٠٢). واخوان الصفا مصيبون في قولهم ان للأمم المختلفة ألحاناً وأنغاماً مختلفة وكل أمة يلذها اللحن الذي آلفته(١٠٣) . وقد أشار الى هذا التأثير من قبل الفيلسوف الكندي في قوله :- ((أعلم ان لكل قوم في هذه الآلة (يعني العود) مذهب ليس هو لغيرهم واختلافهم في ذلك كاختلافهم في سائر الأشياء . ألا ترى أن العرب والروم والفرس والخزر والحبشة وجميع الناس ألاختلاف في خلقهم وعقولهم وأرائهم وشهواتهم وجميع مذاهبهم ، ذلك لاختلاف بلدانهم وأهوائها ومياههم وثمارهم . وقد ذكر المنجمون أيضا إن العلة في هذا الاختلاف مطالع النجوم وانفراد كل كوكب بقوم دون قوم ..)) (١٠٤) . وفي رسالة أخرى يقول : ((وليس كلها تطرب لصوت آلة واحدة بل كل جنس يألف غير الآخر فأن الفارسي لا يطرب بالأرغن والناقوس الهندي والرومي لا يطرب بالطنبور الخراساني)) (١٠٥) .

بل وذهب الفيلسوف الكندي أيضا إلى انه لكل وقت موسيقاه ، فليست كل الألحان تناسب جميع الأوقات فموسيقى لأول النهار تناسبه وأخرى لمنتصفه وثالثة في آخره وأخرى عند النوم وكما يقول : ((وينبغي أن يستعمل في كل زمان من أزمنة النهار ما يوافق ويشاكل لذلك الزمان من الإيقاعات ففي أولها المجدية والمكرميه والجوديه والسمحيه وهما الثقيل الأول والثاني . وفي أواسطها وعند قوة النفس :- الإيقاعات الأقدامية والتجربة البأسية وهو الماخوري . وفي أواخرها وعند انبساط النفس :- الإيقاعات الطربية والسرورية وهي الأهزاج والأرمال والخفيف.
وعند النوم ووضع النفس :- الإيقاعات الشجوية وهي الثقيل الممتد وما شاكله)) (١٠٦).

هذا مما يدفعنا إلى القول أن كثيرا من آراء إخوان الصفا قد استقوها من الكندي بالرغم من عدم أشارتهم الى ذلك كما فعلوا مع الفارابي منها ما أثبتناه في ثنايا هذا البحث ، وبلا ريب إن الكندي قد أفاد كثيرا من أفلاطون وأرسطو ولكن مع ذلك فله آراؤه الخاصة تلك التي جعلت كثيرا من أهل العلم يعتبره مؤسس أول مدرسة فلسفية في بغداد (١٠٧) . فلم يكن مجرد ناقل بل كان مفكراً أصيلاً وضع أصول الموسيقى العربية بما يتفق مع ما هو جار عليه العمل بالفعل (١٠٨) .

(٧) جماليات الموسيقى :- امتزاج الأصوات وتنافرها .

وكما عنى أو أهتم إخوان الصفا بتحديد عناصر الموسيقى ، فلقد اهتموا أيضا ، بالجمال الموسيقي وحددوا مقاييسه حينما ربطوا الجمال بتناسب الأصوات وطرق الأداء الصوتي والآلي من همس وجهر ورخاوة وشدة وغليظ وغيرها مما يتضح اليوم على تسميته بمحسنات الأداء . وبلا ريب هنالك عوامل وراء تألف الأصوات وامتزاج النغمات والتنافر بين بعضها البعض ، بما يؤدي إلى القبول أو النفور ، إنما يعود للخصائص الفنية الآتية :-

أولا : اختلاف الأوتار المتساوية من الغلظ والطول والخرق والنقر فالأصوات الحادة والغليظة متضادان ولكن إذا كانت على نسبة تأليفية ائتلفت وامتزجت واتحدت وصارت لحنا موزونا واستلذتها المسامع وفرحت بها الأرواح وسُرت بها النفوس ، وإن كانت على غير النسبة تنافرت وتباينت ، ولم تأتلف ولم تستلذها المسامع بل تنفر منها وتشمئز منها النفوس وتكرهها الأرواح (١٠٩) . وهذا يعني إن الأصوات المتنافرة الحادة والغليظة نفسها ، إذا كانت على نسبة تأليفية حسنة امتزجت وتألفت وكونت لحنا جميلا تستلذه المسامع لتمام ائتلافه وجمال وقعه ، واذا ما كانت على غير النسبة تنافرت وتباينت اذا وردت على المسامع ، أفسدت المزاج وأخرجت عن الأعتدال .

ثانيا : اعتقادهم كالإغريق بأثر الأخلاط على الأمزجة في البدن الإنساني ، لذلك ربطوا بين طبقات الصوت وبين هذه الأخلاط وأثرها على الأمزجة في بدن الإنسان ،على ضوء طبيعة تلك الأصوات ف ((الأصوات الحادة حارة تُسخن مزاج أخلاط الكيموسات(١١٠) ، الغليظة وتُلطفها ، والأصوات الغليظة باردة ترطب مزاج أخلاط الكيموسات ، الحارة اليابسة)) (١١١) .
اما بالنسبة لطبيعة : ((الأصوات المعتدلة بين الحادة والغليظة فهي تحفظ مزاج أخلاط الكيموس المعتدل على حالته كيلا يخرج عن الاعتدال)) (١١٢) . وهذه ((الأصوات المعتدلة المتزنة المتناسبة تعدّل مزاج الأخلاط ، وتُفرّح الطباع ، وتستلذ بها الأرواح وتُسر بها النفوس))(١١٣) . وعلى هذا الأساس يمكن القول :
ان الصوت يعتبر جميلا إذا ثبت قدرته على الترنم بجميع النغمات أو التنقل بين الطبقات الثلاثة للصوت البشري من الغليظة – وهو الصوت الصدري الرزين الممزوج بالفخامة والترخيم (الحاد) وهو الصوت الرأسي الذي تبلغ نغماته غاية العلو والارتفاع ، والوسط وهو الصوت الحلقي (١١٤) . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى الى ان اختلاف الآلات في الأحجام يعني اختلاف نغمات أصوات أوتارها في درجاتها الصوتية ، مما له الأثر الفني والجمالي والروحي في نفوس المستمعين ، كما قال إخوان الصفا بأن:- ((كل صوت من أصوات الآلات الموسيقية له نغمة وصفية وهيئة روحانية خلاف صوت آخر)) (١١٥) .

وهم من ذلك يقررون :- إن لكل مزاج ما يلائمه من الألحان ، فان هنالك أصوات موسيقية تعدل مزاج الأخلاط وتفرح الطباع ، وتستلذها الأرواح وتسر بها النفوس كالأصوات المعتدلة المتزنة المناسبة وأخرى تفسدها وتخرجه عن الاعتدال بل وتحدث موت الفجأة كالأصوات العظيمة الهائلة غير المتناسبة إذا وردت على المسامع دفعة واحدة مفاجأة (فجئة) ويعطون مثالا على ذلك آلة صناعية كان اليونانيون يستعملونها عند

الحروب ويفزعون بها نفوس الأعداء، ويسد النافخون فيها آذانهم عند استعمالها وتحريكها (١١٦) ، فأن تلك الأصوات والألحان لا تهز المشاعر ولا تحرك الطبع ولا تبعثه ولا تستفزه على شئ سوى الحرب . فقد جعل الله في النفوس انفعالا غريبا بالغناء وتأثيرا عجيبا وانبعاث للأرواح الآدمية وغيرها من الحيوانات الغير ناطقة . ومن ثم فان أمزجة الأبدان كثيرة الفنون وطباع الحيوانات كثيرة الأنواع ،ولكل مزاج ولكل طبيعة نغمة تشاكلها ولحن يلائمها ولا يحصى عددها إلا الله عز وجل (١١٧) .

ونخلص إلى القول مع (أبن الخطيب) إلى : إن عشق النفوس للألحان الموسيقية أو النفرة منها ((يرجع إلى : طبيعة الأبعاد الصوتية التي تتركب منها تلك الألحان فما كان منها متناسب الأنغام منسجم التأليف متداخل التركيب ، جميل الانتظام صادق الإبداع ، كامل الإتقان ، استراحت إليه النفس واستلذته الأسماع ، وما كان من الألحان على عكس ذلك ناشز الأصوات ، متنافر الإبداع ، نفرت منه النفس واشمأزت منه الأسماع . وتلك كلمة إلهية قدرها الله تعالى فأحسن تقديرها وعادت عودها في مخلوقاته الناطقة)) (١١٨) . ومما يدل على كبر شأن الموسيقى والغناء اتخاذها من وسائل العلاج من قبل الحكماء .

(٨) مداواة النفوس بالموسيقى :-

وعلى ضوء ما سبق من مواقف إخوان الصفا في الموسيقى يمكن القول :
إن الموسيقى ليس للترفيه والتسلية فحسب بل وللعلاج أيضا في شفاء الأمراض ولمعالجة انفعالات النفس هذا ما قرره ونبه إليه إخوان الصفا لمعالجة الاكتئاب والقلق قبل أكثر من عشر قرون من الآن ولا بد من الإشارة إلى إن هذا الأمر ليس من اختراعهم إنما سبقهم إليه الكندي والفارابي بل تكاد تشترك فيه الإنسانية جمعاء منذ القدم ، فعادة استخدام الموسيقى للعلاج قديمة قدم الإنسانية فقد استخدمت في علاج المختلين عقليا واتبعت في الصين ومصر قبل أن يستخدمها الكهنة اليونانيون (١١٩) . وقد روى هوميروس في الإلياذة إن أنشودة الشفاء البديعة كانت تستخدم في إبعاد الطاعون فعندما وقعت اسبرطة فريسة للطاعون بعد عدة قرون استدعى الحكام الموسيقي الكريتي ثاليتاس لتأليف أناشيد الغناء التي تساعد على التخلص من الطاعون (١٢٠) .

فقد استخدمت الموسيقى كعلاج للمرضى منذ القدم كم أكد على ذلك أفلاطون و أرسطو وغيرهم ولا عجب ولكن العجب والغرابة ان الاندهاش في عملية استخدام الموسيقى للعلاج تواجه بها أو يشكك فيها أو لا يعار له أهمية في القرن الحادي والعشرين – عصر العلم – أما بالنسبة لأفلاطون فيقول : ((إن نسبة الجمناستك للجسد هي نسبة الموسيقى للعقل ، ويجب القول إن الجمناستك يراد لترقية العنصر الحماسي في طبيعتنا كما تراد الموسيقى لترقية العنصر الفلسفي ، وأقصى أغراض التهذيب بأعداد هذين العنصرين ومزجهما معا على نسبة عادلة متزنة)) (١٢١) . فيما يذهب ارسطو إلى انه يمكن أن يستخرج من الموسيقى أكثر من نوع من المنفعة منها ، أنها تصلح لتثقيف العقل وتزكية النفس معا وان تكون ترفيها وتستخدم لبسط العقل وترويحه من أعماله (١٢٢) .ويميز أرسطو كما هو حال غيره من الفلاسفة بين أنواع الأغاني المؤثرة في النفوس :- الغناء الأدبي ، والغناء الحماسي والغناء الشهوي (١٢٣).

وما تحدثه كل منها في النفوس من خلال انفعالاتها باستماع تلك الأغاني . ويرى أمكانية معالجة انفعالات النفوس تلك من خلال الاستماع إلى نوع آخر من أنواع الموسيقى ألا وهو كما يسميه أرسطو – الأغاني المقدسة – حيث يقول :- ((ويمكن أن يشاهد كيف أنهم بعد الاستماع إلى موسيقى اضطربت بها أنفسهم، يسكنون دفعة واحدة باستماع الأغاني المقدسة ، فذلك إنما هو ضرب من الشفاء والتزكية الأدبية)) (١٢٤) .
((وكل امرئ لا يجد لذة إلا
فيما يوافق طبعه)) (١٢٥) .

ومن الفلاسفة في الإسلام استخدمها الكندي في العلاج ، فلم يألوا جهدا في تمحيص الصلة بين الموسيقى وأنغامها المختلفة وبين تحريك النفوس وما ينساب أحوالها كما سبق ، أضف إلى ذلك انه تفنن بهذا العلم فلم يقصره على الفن النظري فقط ، إنما سما به إلى المعالجات الطبية المبنية على الأسس الموسيقية ، ولقد نقل ألينا القفطي في أخبار الحكماء قصة ذلك الشاب الذي كان في النزع الأخير من الحياة وتمكن من إرجاع الحياة إليه بعض الوقت بواسطة الموسيقى بان يقوي روحه ويحرك نفسه كما يقال (صحوة الموت) قبل إن يستوفي

أجله . لتكون النواة الأولى في حقل الطب التجريبي قبل ألف ومئتين سنة . ويعد الكندي من أوائل الفلاسفة في الإسلام الذين استخدموا الموسيقى في علاج مرضاهم ، ومزج الكندي بين الموسيقى والطب يدل على سعته في علم الموسيقى وفي ذلك يقول الكندي :- ((ومنها ما كان إذا سمعه إنسان ، انحلت نفسه فيموت ، ومنها ما يسبت ، ومنها ما كان يشجع للقاء الأعداء والحروب (١٢٦) ، ومنها ما كان يُسرّ ويُطرب ويقوي النفس ... فالموسيقاري الباهر الفيلسوف يعرف ما يشاكل كل من يلتمس إطرابه من الإيقاع والنغم والشعر مثل حاجة الطبيب الفيلسوف إلى أن يعرف أحوال من يلتمس علاجه وحفظ صحته)) (١٢٧) .

واستخدمها الفارابي في إدخال البهجة والسرور في النفوس وفي إدخال الغم والحزن فيها، وتجاوز هذا وذاك في سلب عقول الناس وقلوبهم واستسلامها للنوم على أثر سماعها ، فهي ساحرة تلك هي الموسيقى ، التي أستخدمها إخوان الصفا لمداواة النفوس بالموسيقى.

لقد انتبه إخوان الصفا أيضا إلى ان النغم والألحان الموزونة لها تأثيراتها في نفوس المستمعين كتأثير الأدوية والأشربة والترياقات في الأجسام الحيوانية، وفلسفوا هذا التأثير على القوة السامعة للأصوات بالقول :- ((وللنغمات تأثير في أمزجة طباع المستمعين لها ، ذلك إن نغمة الزير تقوي خلط الصفراء وتزيد في قوتها وتأثيرها وتضاد خلط البلغم وتلطفه ، ونغمة المثنى تقوي خلط الدم وتزيد قي قوته وتأثيره وتضاد خلط السوداء وترققه وتلينه ، ونغمة المثلث تقوي خلط البلغم وتزيد في قوته وتأثيره وتضاد خلط الصفراء وتكسر حدتها . ونغمة البم تقوي خلط السوداء وتزيد في قوتها وتأثيرها وتضاد خلط الدم وتسكن فورانه .

فإذا أُلفت هذه النغمات في الألحان المشاكلة لها و استعملت تلك الألحان في أوقات الليل والنهار المُضادة طبيعتها طبيعة الأمراض الغالبة والعلل العارضة ، سكنتها وكسرت سورتها ، وخففت على المرضى آلامها ، لان الأشياء المتشاكلة في الطباع إذا كسرت واجتمعت قويت أفعالها وظهرت تأثيراتها ، وغلبت أضدادها ، كما يعرف الناس مثل ذلك في الحروب والخصومات)) (١٢٨) . وذلك مما يبين جانب من ((حكمة الحكماء الموسيقيين المستعملين لها في المارستانات (المستشفيات) في الأوقات المضادة لطبيعة الأمراض والأعراض والإعلال)) (١٢٩) .

وإذ قد أتينا على أثر تلك النغمات وتحريكها لقوى النفس من جهة الحاسة السمعية حسب طبعها ومناسبتها ، نأتي على ذكر ما يترقى إلى النفس من الحاسة الذوقية من الألفاظ المنطقية ، فقد قال احد الحكماء : ان للغناء فضيلة يتعذر على المنطق إظهارها ولم يقدر على إخراجها بالعبارة فأخرجتها النفس لحنا موزونا (١٣٠) .

وقال آخر : الموسيقار إذا كان حاذقا بصنعته حرك النفوس نحو الفضائل ونفى عنها الرذائل (١٣١) .

وقال آخر : أحذروا عند استماع الموسيقى أن تثور بكم شهوات النفس البهيمية نحو زينة الطبيعة ، فتميل بكم عن

سنن الهدى وتصدكم عن مناجاة النفس العليا (١٣٢) .

وتلك من الملامح الجمالية التي تساعدنا على اكتشاف وظيفة الموسيقى كظاهرة فنية في المجتمع ، كاستخدام الموسيقى في علاج المرضى وتسلية العمال والترويح عن النفوس ونشر البهجة في الأفراح ، لذا

يؤكد إخوان الصفا على أن الموسيقار الحاذق هو الذي يعرف حالة المستمع ويعزف له على وتره الحساس : ((فكل نفس إذا سمعت من الأوصاف ما يلائم معشوقها ومن النغمات ما يلائم محبوبها فرحت وسرت والتذت بحسب ما تصورت من رسم معشوقها واعتقدت في محبوبها)) (١٣٣) .

وهكذا تتجلى لنا جماليات الموسيقى وتأثيرها في النفوس والأجسام والعقول . وعليه يطالب علماء التربية بان تكون الموسيقى عنصرا رئيسيا من المناهج التربوية لأنها ليست ترفا بل هي عامل تنظيم وتحصين ضد الشذوذ والتمرد وإحياء للمواهب الكامنة في أعماق النفس (١٣٤) . وفي ذلك نذكر هذه التجربة الموسيقية في كولومبيا ، استخدمت الموسيقى فيها كعلاج لما أفسده العنف ففتحت مدارس لتعليم الموسيقى لإبعاد الشباب عن دائرة العنف والمخدرات ، مما كان السبب في انخفاض القتل في البلاد وفرصة للابتعاد عن العنف وتهذيب النفوس ، فهل تفلح الموسيقى في بلدنا كحل لعزوف الشباب عن العنف وتصلح ما أفسده السياسي الشايلوكي .

ومن الاختبارات التي جرت أخيرا ، في كندا والولايات المتحدة وفرنسا وانكلترا ، على يد كبار المختصين في العلوم الموسيقية وتأثيراتها المباشرة ، وغير المباشرة انه جرى إخضاع حقول شاسعة من القمح والذرة والأرز والخضار لأنغام موسيقية عذبة تعتمد على الأصول (الموسيقى الأصيلة وليس الموسيقى العصرية الصاخبة) وتبين أن إنتاج هذه المزروعات ازداد بنسبة ٣٥ بالمئة على الأقل ، كما إن جودة نوعيتها تضاعفت ومقابل ذلك جرى إخضاع حقول مماثلة للموسيقى الالكترونية الصاخبة التي هي أشبه بصوت قرقعة آلات المصانع ، ولاحظ المختصون إن الإنتاج تدنى بنسبة ظاهرة وصلت في بعض الحقول إلى ٤٢ بالمئة . وكذلك الحيوانات تطرب للموسيقى حيث جرى تطبيق الاختبار ذاته على مزارع الدواجن والماشية جاءت النتيجة إن الموسيقى الأصيلة زادت نمو وإنتاج هذه الحيوانات و الموسيقى الصاخبة تسببت بمرض ونفق نسبة عالية جدا من هذه الدواجن (١٣٥) .

وقد بحث بعض علماء اليابان تأثير الموسيقى والأغاني على الأسماك وانتهت أبحاثهم بان هناك أنغاما خاصة تجتذب الأسماك وأنغاما أخرى تنفر منها وتبعد عنها ، وانه في الإمكان استغلال هذه الأنغام في اجتذاب الأسماك وصيدها على أوسع نطاق وبأكبر قدر مستطاع .

وقد عرف العرب هذا الأمر واستخدموه منذ ألف ومئتين سنة فقد ذكر الجاحظ ذلك تحت موضوع – تأثير الصوت – فقال : ((بالأصوات والأنغام ينومون الأطفال ، والدواب تصر آذانها إذا غنى المكارى ، والإبل تصر آذانها إذا حدا في أثرها الحادي وتزداد نشاطا ، وتسرع في مشيتها ويجمع بها الصيادون السمك في حظائرهم التي يتخذونها له ، وذلك أنهم يضربون بعصي معهم ، ويعططون ، فتقبل أجناس السمك شاخصة الأبصار ، مصغية إلى تلك الأصوات والأنغام حتى تدخل الحظيرة التي أعدت لهم فيتم صيدها)) (١٣٦) .

ولم يقتصر تأثير الموسيقى إلى هذا الحد فحسب بل يذهب بعض الأطباء الجسمانيين والنفسانيين إلا انه بالإمكان معالجة السمنة عن طريق الموسيقى (١٣٧) ؟ فهل يمكن علاج السمنة بالموسيقى حقا ؟!

نتائج البحث

وهكذا نخلص إلى القول :

(١) إن الفلاسفة يرون أن الموسيقى ليست لذة أو للترفيه أو للعب فحسب بل إن لها تأثيرا عظيما في النفس ،

فالموسيقى وسيلة لتربية الحس والذوق وللعلاج الجسمي والنفسي والعقلي وللتنشيط على العمل وزيادة الإنتاج

، وهي في الوقت نفسه وسيلة للترفيه والترويح عن النفس والوجدان . وعلى الرغم من تأكيد الفلاسفة أفلاطون و أرسطو وكذلك الكندي والفارابي و إخوان الصفا وغيرهم على أهمية الموسيقى إلا أنهم يرون أن

للموسيقى أضرار كما لها منافع على النفس الإنسانية من حيث أثارة المخاوف والحزن مما يولد فيها الاضطراب والضعف بخلاف ما تدعو إليه القيم الأرستقراطية الأفلاطونية بالحفاظ على هدوء وثبات النفس .

وان من الموسيقى ما يثير في النفس اللذة الروحية وهو ما ينسجم مع قيم النفس العاقلة ، ومنها ما يثير في

النفس اللذة الجسدية مما يبعد النفس عن بلوغ المثل ويزيدها ارتباطا بالعالم الحسي .

(٢) وعلى ضوء كل ما سبق نقرر أن الموقف الشائع عن الموسيقى هو ليس موقفا عدائيا من الموسيقى لذاتها إنما

هو موقف قيمي معياري لكي تنسجم مع تطلعات الروح وتبتعد عن أدران الجسد ، وهذا مطلب أنساني كوني من

أفلاطون شيخ الفلاسفة إلى يوم الناس هذا ، وكذلك يمكن القول إن الخطاب الموسيقي لإخوان الصفا كان خطابا

كونيا ولم يكن خطابا أيديولوجيا خاصا بالمسلمين فحسب .

(٣) كان مفهوم كلمة – موسيقى – مقصود به – الغناء والتلحين – لارتباطه بالشعر الغنائي وكذلك كانت كلمة –

السماع – تطلق على سائر وجوه النشاط الموسيقي بما فيه العزف والغناء والتأليف . وقد ظلت كلمة الغناء

أكثر دلالة على الموسيقى الآلية والغنائية معا .

(٤) يلتقي إخوان الصفا في كثير من مواقفهم في الموسيقى مع الفيلسوف الكندي بحيث يمكن القول إن كثيرا من

آراء إخوان الصفا إنما استمدوها أوأخذوها عن الفيلسوف الكندي فقد أوضح القول في الموسيقى وبين ما يجب

مراعاته من اختيار اللحن المناسب لكل وقت ولكل إنسان وكذلك لما لاختلاف الأمم من أثر في تذوق الفن

وظاهرة الإيقاع وغيرها كما نوهنا على بعض ذلك في ثنايا البحث وكذلك مع الفيلسوف الفارابي .

(٥) انه كان من أغراض الحكماء في استعمالهم الموسيقى هو اتخاذ الحكماء الموسيقى من وسائل العلاج فأدخلوها

في المستشفيات في علاج المرضى مؤكدين على أثرها في النفوس كأثر الأدوية في الأجسام ، مما يدلل على

كبير شأن الموسيقى .

(٦) ينحى إخوان الصفا منحى المدرسة الفيثاغورية والأفلاطونية ومنحى الفيلسوف الكندي في القول بنغمات حركات الأفلاك مخالفين أرسطو والفارابي وغيرهم .

(٧) يتفق إخوان الصفا مع الفلاسفة في تعريفهم للموسيقى وضمها للعلم الرياضي .

(٨) تأكيدهم على الجانب الأخلاقي والتربوي للموسيقى كما هو الحال عند أفلاطون وأرسطو والكندي والفارابي مما

يكشف في كل ما سبق طبيعة التواصل بين الفلاسفة اليونان والفلاسفة في الإسلام من جهة ، وبين الفلاسفة

في الإسلام أنفسهم من جهة أخرى .

(٩) وعلى ضوء ما سبق يتجلى أثر الموسيقى في النفوس ،مما يقتضي التنويه للقائمين على الأذاعات المسموعة و الفضائيات المرئية الارتقاء بمستوى ما تقدمه من مواد موسيقية خالصة او مشتركة في برامجها المتعددة لتحقيق الاثار الأيجابية المرجوة من هذه البرامج في تهذيب النفوس وتهدئتها ونشرالتسامح و المحبة بين الناس، و كذلك التأكيد على أهمية التربية الموسيقية لأنها تساهم في بناء شخصية الطفل و تنشر التذوق الموسيقي و لأنها أنتماء للبيئة و لأنها تغير سلوكي.

الهوامش

(١) أنظر : أنور مغيث : الموسيقى عند فلاسفة الإسلام : ص ١١٢ مجلة المنار العدد (٤٩) كانون الثاني ١٩٨٩ م .

(٢) أنظر : ذياب : أديب نايف : نظرية الفارابي في الموسيقى : مهرجان الفارابي ١٩٧٥ م . منشورات وزارة الأعلام – الجمهورية
العراقية ١٩٧٥م ص ٧ .

(٣) لما للعدد من مقام خطير في فلسفتهم لأنهم تأثروا بطريقة الفيثاغوريين ولا سيما المحدثين منهم فاعتبروا العدد أصل الموجودات
ورتبوه على الأمور الطبيعية والروحانية .

(٤) أنظر : أديب نايف ذياب : نظرية الفارابي في الموسيقى ص ١٦ – ١٩ .

(٥) أنظر إخوان الصفا : الرسائل المقدمة لبطرس البستاني ج١ ص ١٣ – ١٤ دار صياد – بيروت ١٩٩٩ م .

(٦) إخوان الصفا : الرسائل ج١ ص ١٨٣ .
(٧) ومنها الموسيقى طبعاً
(٨) إخوان الصفا : الرسائل ج١ ص ١٩٩ – ٢٠٠ .
(٩) أنظر : أنور مغيث : الموسيقى عند فلاسفة الإسلام : ص ١١٦ .
(١٠) إخوان الصفا : الرسائل ج١ ص ١٨٦ .
(١١) إخوان الصفا : الرسائل ج١ ص ١٨٦ .
(١٢) إخوان الصفا : الرسائل ج١ ص ١٨٣ .
(١٣) إخوان الصفا : الرسائل ج١ ص ١٨٣ .
(١٤) أنور مغيث : الموسيقى عند فلاسفة الإسلام : ص ١١٧ .
(١٥) و (١٦) إخوان الصفا : الرسائل ج١ ص ١٩٢ .((ويقصدون بالحركة هي النقلة من مكان الو مكان في زمان ثان، وضدها السكون
وهو الوقوف في المكان الأول في الزمان الثاني)). وجاء عنهم أيضا ((والسكون هو وقوف متحرك في مكانه الأول زمانا ما، كان
يمكنه أن يكون متحركا فيه حركة ما)). أنظر : الرسائل ج١ ص ١٩٢ – ١٩٣ .
(١٧) إخوان الصفا : الرسائل ج١ ص ١٨٨ .
(١٨) احمد جوهر : الإسلام والفنون ، مكتبة جزيرة الورد – المنصورة ١٩٩٩ م ص ١٥ .

(١٩) ولنا تحفظ هنا على قول د. زكريا في أشارته إلى الكندي فقط ، فقد سبقهم أيضا الفارابي وهو ما سنتناوله أن شاء الله في بحثنا

بعنوان :- أصالة الموسيقى بين الكندي والفارابي .واشرنا في ثنايا البحث إلى بعض ذلك.

(٢٠) أنظر الكندي : مؤلفات الكندي الموسيقية تحقيق د. زكريا يوسف ، مطبعة شفيق – بغداد ١٩٦٢ م المقدمة ص ٣٧ – ٤٠ .

(٢١) الكندي: مؤلفات الكندي الموسيقية: تحقيق د. زكريا يوسف مطبعة شفيق - بغداد ١٩٦٢ م الرسالة الثانية. كتاب المصوتات الوترية

ص ٧٠ .

(٢٢) الجماعة :- الجمع متى ما زاد عن أربع نغمات متتاليات . د. زكريا ، غطاس خشبة الهامش ١ ص ٤٧ .

(٢٣) ويعني بها النغم دون أن تقرن بالأقاويل فهي النغم المؤلفة من ذواتها على الأطلاق الموسيقى الخالصة الهامش٣ ص ٤٧ .

(٢٤) ويعني النغم الحادثة بالتصويتات الإنسانية في الألحان . الهامش ٢ ص ٤٧ .

(٢٥) الفارابي :- الموسيقي الكبير تحقيق غطاس عبد الملك خشبة – دار الكتاب العربي – القاهرة ١٩٦٨ م ص ٤٧ .

(٢٦) الفارابي:- ص ٤٩ .

(٢٧) أنظر :- أديب نايف ذياب : نظرية الفارابي في الموسيقى ، مهرجان الفارابي ، منشورات وزارة الأعلام الجمهورية العراقية

١٩٧٥م . ص ١٠ .

(٢٨) أبن سينا:الشفاء(العلم الرياضي)عن د. صبحي أنور رشيد:- موجز تاريخ الموسيقى والغناء العربي.الطبعة الأولى-بغداد٢٠٠٠-

ص١٣ .

(٢٩) ابن سينا:- تسع رسائل ص ٧٦ . عن د. صبحي :- المصدر نفسه ص ١٣ .

(٣٠) أبن خلدون :- المقدمة ، اعتناء ودراسة أحمد الزعبي ، نشر دار الأرقم – بيروت ٢٠٠١ م . الباب الخامس الفصل الثاني والثلاثون

:- في صناعة الغناء ص ٤٦١ .

(٣١) أبن خلدون :- المقدمة ص ٤٦٦ .

(٣٢) أنظر أرسطو : السياسة ك٥ ب٢ ف٥ ف٦ ص ٢٩٠ – ٢٩١ . هذا من جانب ومن جانب آخر يرى انها كما قال أوربيد:((تعجبنا

وتذهب بهمومنا . ليشير في موضع آخر ان الموسيقى ليست البتة(قطعا) لذة فحسب ، ان لها تأثيرا عظيما في النفس ، وبما ان لها

أثرا قويا في الأخلاق لا جدال فيه ، فينبغي أدخالها في التربية وعلى هذا الوجه تكون نافعة)) . أنظر أرسطو: السياسة ك٥ ب٤ ف١

ص ٢٩٥ و ك٥ ب٥ ف٣ ص ٢٩٧ .

(٣٣) الشيخ احمد بن عبد الرحمن القادري الرفاعي الشهير بالمسلم الموصلي (المتوفى سنة ١١٥٠هجرية) الدرّر النقي في علم

الموسيقى ، قدم له وعلق الشيخ جلال الحنفي ، مطبعة دار الجمهورية- بغداد ١٩٦٤ م ص ١٣ .

(٣٤) جوليوس پورتنوي :- الفيلسوف وفن الموسيقى ترجمة د. فؤاد زكريا – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ م ص ٢٤ .

(٣٥) الكندي :- مؤلفات الكندي الموسيقية الرسالة الثانية :- المصوتات الوترية ص ٨٣ - ٨٤ .

(٣٦) ابن سينا :- الشفاء عن د. صبحي المصدر السابق ص ١٣ .

(٣٧) الطوسي :- نصير الدين:- رسالة نصير الدين الطوسي في علم الموسيقى تحقيق زكريا يوسف دار القلم – القاهرة ١٩٦٤ م

ص١٢.

(٣٨) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٩٦ – ١٩٧ .

(٣٩) احمد جوهر :- الإسلام والفنون مكتبة جزيرة الورد – المنصورة الطبعة الأولى ١٩٩٩ م ص ١٥١ .

(٤٠) سورة الزمر آية/ ٦٨ .

(٤١) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٩٠

(٤٢) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٨٨-١٨٩ . وما شاكل من الأصوات الحيوانية (غير المنطقية) وهي أصوات سائر الحيوانات

غير الناطقة ، أما بالنسبة للأصوات الحيوانية (المنطقية) هي أصوات الناس فتقسم إلى نوعين :- دالة وهي الكلام والأقاويل التي

لها هجاء ، وغير دالة كالضحك والبكاء والصياح وبالجملة كل صوت لا هجاء له .

(٤٣) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٩٢

(٤٤) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٩٢

(٤٥) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ٢٠٢ . ويذهب إخوان الصفا إلى أن ما كان من النايات والمزامير أوسع تجويفا وثقبا كان صوته

أغلظ ، وما كان أضيق تجويفا وثقبا كان صوته أحدّ ، ومن ثم ما كان من الثقب إلى موضع النفخ أقرب كانت نغمته أحدّ ، وما كان أبعد كان أغلظ . وهذا مما له الأثر المباشر في امتزاج الأصوات وتنافرها حيث تتجلى جماليات النغم والآلات الموسيقية .

(٤٦) الشيخ احمد بن عبد الرحمن القادري الرفاعي الشهير بالمسلم الموصلي (المتوفى سنة ١١٥٠هجرية) الدرّر النقي قي علم

الموسيقى ، قدم له وعلق الشيخ جلال الحنفي ، مطبعة دار الجمهورية- بغداد ١٩٦٤ م ص ١٦-١٨ .(حيث عقد الباب الثالث بعنوان :- ذكر دائرة الموسيقى وتعلقها بالبروج والأفلاك)

(٤٧) مؤلفات الكندي الموسيقية:- المقدمة ص ٣٠ .

(٤٨) أنظر شاخت وبوزورث :- تراث الإسلام ص ٢٢٥

(٤٩) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ٢٢٥ – ٢٢٦ .

(٥٠) و (٥١) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ٢٠٧ .

(٥٢) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص٢٠٨ ... غير أن أحد المصادر اليهودية فيلسوف يهودي عزا هذه القدرة ذاتها إلى موسى .

جوليوس الفيلسوف وفن الموسيقى ص ٣٠ الهامش.

(٥٣) و (٥٤) أنظر :- جوليوس :- الفيلسوف وفن الموسيقى ص ٣٠ الهامش، وانظر كذلك حنا الفاخوري :تاريخ الفلسفة العربية ج١

ص٢٥٩.

(٥٥) أنظر :- أديب نايف ذياب :- نظرية الفارابي في الموسيقى قراءة جمالية ص ٥٨ ، مجلة البيان العدد ١١٧ السنة العاشرة كانون

الأول ١٩٧٥ م .

(٥٦) أنظر:- عبد الغني الملاح :- الموسيقى العربية في التراث ورأي إخوان الصفا ص ١٢٧ مجلة آفاق عربية السنة الثامنة العدد ٣

تشرين الثاني ١٩٨٢ م .

(٥٧) أنظر :- جوليوس :- المصدر السابق ص ٢١٢ .

(٥٨) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٨٦ .

(٥٩) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٨٧ .

(٦٠) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٨٦ – ١٨٧ . كذلك أنور المغيث :- المصدر نفسه ١١٦ .

(٦١) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ٢٤١ .

(٦٢) سورة :-

(٦٣) معنى صَغُرَ :- صَغَرّاً وصُغراً وصغاراً وصغارة وصُغراناً : هان وذل . يقال صغره في أعين الناس أي حقره ، أنظر : لويس معلوف :

المنجد في اللغة ، مؤسسة انتشارات دار العلم – قم ، الطبعة (٣٥) ١٩٩٨م. مادة : صَغُرَ ص ٤٢٥ .

(٦٤) إخوان الصفا :- الرسائل ج ١ ص ٢٤١ .

(٦٥) أنظر إخوان الصفا : الرسائل ج ١ ص ٢٤٠ الهامش .

(٦٦) إخوان الصفا :- الرسائل ج ١ ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

(٦٧) إخوان الصفا :- الرسائل ج ١ ص ٢٠٩ .

(٦٨) سورة :-

(٦٩) إخوان الصفا :- الرسائل ج ١ ص ٢٠٩ .

(٧٠) إخوان الصفا :- الرسائل ج ١ ص ٢١٠ .

(٧١) أنظر :- جوليوس :- الفيلسوف وفن الموسيقى ص ١٠ – ١١ . مقدمة المترجم .

(٧٢) أنظر :- جوليوس :- الفيلسوف وفن الموسيقى ص ١٨ – ١٩ . مقدمة المؤلف .

(٧٣) تبعث الراحة في النفوس وتستعمل عند الأعمال الشاقة والصنائع المتعبة مثل ما يستعمله الحمالون والبناءون وأصحاب المراكب

وملاح الزوار يق يخفف عنهم كد الأبدان وتعب النفوس . إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٨٧ .

(٧٤) حيث يستعمل صيادو الغزلان والدراج والقطا وغيرها من الطيور إلحانا في ظلام الليل يوقعها بها حتى تؤخذ باليد إخوان الصفا

الرسائل ج١ ص ١٨٨ .

(٧٥) كان يستعملونها في المارستانات (المستشفيات) وقت الأسحار لتخفيف ألم الأسقام والأمراض عن المريض ويكسر سورتها

ويشفي من كثير من الأمراض والأعلال . إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٨٧ .

(٧٦) فمن الألحان المؤثرة التي استخرجها الحكماء في ذلك لحنا يقال له – المشجع – كانت تستعمله قادة الجيوش في الحروب والهيجاء

ويكسب النفس شجاعة وأقداما .أنظر : إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٨٧ .

(٧٨) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٨٣ – ١٨٤ .

(٧٩) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٨٧ .

(٨٠) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص١٨٥ .

(٨١) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص١٨٨ .أسميناه (المؤنس) من الوحشة والوحدة وباعث المودة والمحبة والسكينة في النفوس .

(٨٢) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص١٨٨ .

(٨٣)و (٨٤) الكندي :- مؤلفات الكندي الموسيقية ، تحقيق د. زكريا يوسف ، مطبعة شفيق – بغداد ١٩٦٢ م. الرسالة الثانية :-

المصوتات الوترية ص ٧٠ – ٧٢ .

(٨٤) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٨٨ .

(٨٥) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ٢٣٣ .

(٨٦) انظر :- عبد الغني الملاح:- الموسيقى العربية في التراث ورأي إخوان الصفا ، مجلة آفاق عربية ، السنة الثامنة العدد ٣ – تشرين

الثاني ١٩٨٢ م. ص ١٢٨ – ١٢٩ .

(٨٧) أفلاطون :- الجمهورية ص ٩٥ .

(٨٨) أفلاطون :- الجمهورية ص ١٠٥ .

(٨٩) أفلاطون :- الجمهورية ص ٩٨.

(٩٠) أفلاطون :- الجمهورية ص ٩٧ .

(٩١) أرسطو :- السياسة ك ٥ ب٥ ف٨ ص ٢٩٩ – ٣٠٠ .

(٩٢) د. احمد فؤاد الأهواني :- فيلسوف العرب ص ٨٤ .

(٩٣) حرب البسوس :- من أقدم الحروب بين القبائل العربية وأشهرها التي دارت معاركها قرب نهاية القرن الخامس الميلادي بين بني

بكر – لاتزال مدينة ديار بكر تحمل أسم هذه القبيلة وأقربائهم بني تغلب وكان كل من القبيلتين يعتنق المسيحية ، ولم يكن سبب

الحرب أكثر من ناقة كانت ملكا لامرأة عجوزة من بكر تسمى البسوس بنت منقذ جرحها زعيم تغلبي .. ولا تزال أسماء زعمائها من

التغلبيين : كليب بن ربيعة وأخيه الشاعر المهلهل ومن البكريين جساس بن مرة تجري على ألسنة الناس . أنظر :- فيليب خوري :

تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك نافع ، مطبعة دار العالم العربي – القاهرة ، الطبعة الثالثة ١٩٥٣ ص ١٠٦ .

ولا يكاد يقل عنه شهرة يوم داحس والغبراء المعروف في العصر الجاهلي وقد قامت تلك الحرب بين عبس وأختها قبيلة ذبيان وسبب

هذه الحرب هو سوء تصرف قام به الذبيانيون في سبق بين حصان يسمى داحسا يملكه زعيم عبسي وفرس تسمى الغبراء يملكها

شيخ ذبيان ، وقام هذا الصراع في النصف الثاني من القرن السادس في وقت لا يبعد كثيرا عن عقد الصلح في حرب البسوس . وفي

هذه الحرب أشتهر شاعرا ومحاربا عنترة بن شداد العبسي . أنظر :- فيليب خوري :- المصدر نفسه ص ١٠٧ .

(٩٤) إخوان الصفا :- الرسائل ج ١ ص ١٨٤ .

(٩٥) إخوان الصفا :- الرسائل ج ١ ص ١٨٤ .

(٩٦) إخوان الصفا :- الرسائل ج ١ ص ١٨٤ – ١٨٥ . ومثل ذلك جاء عن الفيلسوف الكندي قوله :- ((فالموسيقار الباهر الفيلسوف

يعرف ما يشاكل كل ما يلتمس أطرابه من صنوف الإيقاع والنغم والشعر مثل حاجة الطبيب الفيلسوف إلى أن يعرف أحوال من

يلتمس علاجه أو حفظ صحته)) الكندي :- مؤلفات الكندي :- الرسالة الثانية:- كتاب المصوتات الوترية ص ٧٢ .

(٩٧) جوليوس :- الفيلسوف وفن الموسيقى ص ٧ – ٨ .

(٩٨) إخوان الصفا :- الرسائل ج ١ ص ١٨٥.

(٩٩) إخوان الصفا :- الرسائل ج ١ ص ١٨٥.

(١٠٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، حققه د . إحسان عباس دار صادر – بيروت ١٩٧٧ م . ج ٥ ص ١٥٥ – ١٥٦ يذكر بأنه عزف في بلاط

سيف الدولة الحمداني ثلاثة الحان مختلفة ، فأضحك الحاضرين ثم أبكاهم ثم تركهم نياما، وأنه أخترع القانون .

(١٠١) إخوان الصفا :- الرسائل ج ١ ص ١٨٨.

(١٠٢) إخوان الصفا :- الرسائل ج ١ ص ١٩٦ .

(١٠٣) عمر فروخ : تاريخ العلوم عند العرب ، دار العلم للملايين – بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٨٠ ص .

(١٠٤) الكندي :- مؤلفات الكندي الموسيقية:- الرسالة الخامسة ، الرسالة الكبرى في التأليف ص ١٣٦ – ١٣٧ .وهي الأسباب نفسها التي

ذكرها أخوان الصفا أيضا في العوامل التي يرون أنها وراء اختلاف أخلاق الناس وطبائعهم .

(١٠٥) الكندي :- مؤلفات الكندي الموسيقية:- الرسالة الثانية ، المصوتات الوترية ص ٧٢.

(١٠٦) الكندي :- مؤلفات الكندي الموسيقية:- الرسالة الثانية ، المصوتات الوترية ص ٨٥.

(١٠٧) داود سلمان فرج :- فلسفة الجمال عند العرب ، مجلة آفاق عربية السنة الثانية العدد (١٠٨) كانون الأول ١٩٧٦ م . ص ١٢٣ .

(١٠٩) الأهواني: د. احمد فؤاد:الكندي فيلسوف العرب ص١٦٩ ،وزارة الثقافة والأرشاد القومي،المؤسسة المصرية العامة للتأليف

والطباعة والنشر سلسلة أعلام العرب العدد ٢٦ بدون تاريخ .

(١١٠) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٩٤ – ١٩٥ .

(٢) الكيموسات : جمع الكيموس ، وهو الخلط أو الحالة التي يكون عليها الطعام بعد فعل المعدة فيه . وهي كلمة يونانية معربة . أنظر الرسائل ج١ ص ١٩٥ الهامش رقم ١

(١١١) و (١١٢) و (١١٣) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٩٥ .

(١١٤) عبد الجليل عبد العزيز : مدخل الى تاريخ الموسيقى المغربية ، سلسلة عالم المعرفة العدد ٦٥ آيار ١٩٨٣ م ، ص ١٩٣ .

(١١٥) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٨٩ .

(١١٦) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٩٥ .

(١١٧) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٩٦ .

(١١٨) ابن الخطيب :- لسان العرب : روضة التعريف بالحب الشريف د. محمد الكناني – دار الثقافة- البيضاء الجزء الأول عن عبد العزيز

أ بن عبد الجليل : مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية ض ٧٩ .

(١١٩) أنظر :- جوليوس : الفيلسوف وفن الموسيقى ص ٤٧ .

(١٢٠) أنظر :- جوليوس : الفيلسوف وفن الموسيقى ص ٤٨ .

(١٢١) أفلاطون :- الجمهورية ص ٧٦ .

(١٢٢) و (١٢٣) أرسطو :- السياسة ك ٥ ب ٧ ف ٤ ص ٣٠٥ . أرسطو طاليس : السياسة ترجمة من الإغريقية إلى الفرنسية بارتلمي

سانتهيلير ونقله إلى العربية احمد لطفي السيد ، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٤٧ .

(١٢٤) أرسطو :- السياسة ك٥ ب ٧ ف ٥ ص ٣٠٥ .

(١٢٥) أرسطو :- السياسة ك٥ ب ٧ ف ٧ ص ٣٠٦ .

(١٢٦) وهو الأمر الذي دفع ببعض رجال السياسة في ايطاليا في منتصف القرن التاسع عشر الإلحاح على – فردي – أحد أعلام الموسيقى

بايطاليا ، ليستغل أنغامه وموسيقاه في تحريك مشاعر الشعب بتحرير لمبارديا وإجلاء الجيوش النمساوية عنها . لقد لحن لهم –

فردي – أغنية وطنية حربية تنشد في الميدان وفي أثناء القتال لا بمصاحبة الأوتار والأنغام بل بصاحبة طلقات مدافع . أنظر :-

د. عز الدين فرج :- العلاج بالموسيقى وهم أم حقيقة ، ص ٢٦ – ٢٨ . واستخدمت سلبا لتكريس الاحتلال أيضا وهو ما لمسناه نحن

أبناء العراق الجريح بشكل عياني عن طريق ممارسات جيش الاحتلال الأمريكي حيث الموسيقى الصاخبة مصاحبة للعنف وقتل

الناس.

(١٢٧) الكندي :- مؤلفات الكندي الموسيقية :- الرسالة الثانية :- المصوتات الوترية ص ٧٢ .

(١٢٨) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ٢١٣ .

(١٢٩) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ٢١٤ وص ٢٣٢ .

(١٣٠) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ٢٣٤ .

(١٣١) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ٢٣٥ . / أيضا الكندي : رسالة في اجتراء خبرية في الموسيقى ص ١٠٨

(١٣٢) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ٢٣٤ . / الكندي : المصدر نفسه ص ١٠٨ ما شاكل ذلك من نوادرالفلاسفة في الموسيقى أنظر من الرسائل لإخوان الصفا ص ٢٣٤ و ٢٣٩ . والكندي : المصدر نفسه ص ١٠٧ – ١٠٨ .

(١٣٣) إخوان الصفا :- الرسائل ج١ ص ١٨٦ . أنظر أنور مغيث : المصدر السابق ص ١١٦ .

(١٣٤) و (١٣٥) أنظر : جان نكد : الموسيقى تحيي وتميت ، ملف : هل بدأت الآلات الصاخبة تهدد الأصالة العربية والعالمية ؟ مجلة الأسبوع

العربي العدد ٢٠٢٩ الاثنين ١٣١ ب ١٩٩٨ م – بيروت . ص ٣٢ – ٣٥ .

(١٣٦) الجاحظ :

(١٣٧) أنظر : د. عز الدين فراج : من عجائب الطب العلاج بالموسيقى وهم أم حقيقة ، مجلة الدوحة ديسمبر ١٩٨٢ . ص ٢٨ .

المصادر

١. الأهواني : احمد فؤاد : الكندي فيلسوف العرب ، وزارة الثقافة والأرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، سلسلة أعلام العرب العدد (٢٦) بدون تاريخ .

٢. الطوسي : نصير الدين : رسالة نصير الدين الطوسي في علم الموسيقى، تحقيق زكريا يوسف دار القلم- القاهرة ١٩٦٤ م .

٣. الكندي : أبو يوسف يعقوب : مؤلفات الكندي الموسيقية ، تحقيق زكريا يوسف ، مطبعة شفيق – بغداد ١٩٦٢م.

٤. الفارابي : أبو نصر : الموسيقي الكبير ، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة ، دار الكاتب العربي- القاهرة ١٩٦٨ م .

٥. ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون اعتناء ودراسة احمد الزعبي ، نشر دار الأرقم – بيروت ٢٠٠١ م .

٦. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، حققه د. إحسان عباس ، دار صادر – بيروت ١٩٧٧ م .

٧. المسلم الموصلي : الشيخ احمد بن عبد الرحمن القادري الرفاعي : الدرّر النقي في علم الموسيقى قدم له وعلق الشيخ جلال الحنفي ، مطبعة دار الجمهورية – بغداد ١٩٦٤ م .

٨. الملاح : عبد الغني : الموسيقى العربية في التراث ورأي إخوان الصفا ، مجلة آفاق عربية السنة الثامنة العدد ٣ تشرين ١٩٨٢ م .

٩. إخوان الصفا : رسائل إخوان الصفا ، دار صادر – بيروت ١٩٩٩ م .

١٠. ارسطوطاليس : السياسة ، ترجمة عن الإغريقية إلى الفرنسية بارتلمي سانتهيلير ونقله إلى العربية احمد لطفي السيد ، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٤٧ م .

١١. أفلاطون : جمهورية أفلاطون ترجمة حنا خباز ، مكتبة النهضة – ١٩٨٦ م .

١٢. خوري : فيليب : تاريخ العرب ترجمة محمد مبروك نافع ، مطبعة دار العالم العربي – القاهرة الطبعة الثالثة ١٩٥٣ م .

١٣. جوهر : احمد : الإسلام والفنون ، مكتب جزيرة الورد – المنصورة ١٩٩٩ م .

١٤. جوليوس : پورتنوي : الفيلسوف وفن الموسيقى . ترجمة فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

١٥. ذياب : أديب نايف : نظرية الفارابي في الموسيقى . مهرجان الفارابي ١٩٧٥م. منشورات وزارة الأعلام – الجمهورية العراقية .

١٦. مغيث : أنور : الموسيقى عند فلاسفة الإسلام ، مجلة المنار العدد ٤٩ كانون الثاني ١٩٨٩ م .

١٧. نكد : جان : الموسيقى تحيي وتميت ، مجلة الأسبوع العربي – بيروت العدد (٢٠٢٩) الاثنين ٣١ آب ١٩٩٨ م .

١٨. عبد الجليل : عبد العزيز : الموسيقى الأندلسية المغربية – سلسلة عالم المعرفة العدد (١٢٩) أيلول ١٩٨٨ م .
١٩. عبد الجليل : عبد العزيز : مدخل إلى تاريخ الموسيقى المغربية – سلسلة عالم المعرفة العدد (٦٥) أيار ١٩٨٣ م .
٢٠. فرج : داود سلمان : فلسفة الجمال عند العرب ، مجلة آفاق عربية السنة الثانية العدد (٤٠)كانون الأول ١٩٧٦م.
٢١. فراج : د. عز الدين : العلاج بالموسيقى وهم أم حقيقة ، مجلة الروضة ديسمبر ١٩٨٤ م .
٢٢. فروخ : د. عمر : تاريخ العلوم عند العرب – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الثالثة ١٩٨٠ م .
٢٣. رشيد : د. صبحي أنور : موجز تاريخ الموسيقى والغناء العربي – الطبعة الأولى – بغداد ٢٠٠٠ م.
٢٤. معلوف : لويس : المنجد في اللغة ، مؤسسة أنتشارات ،دار العلم – قم – الطبعة السادسة والثلاثون ٢٠٠٣ م .
حنا الفاخوري و د. خليل الجرّ : تاريخ الفلسفة العربية ، منشورات دار الجيل – بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٢م .